

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تفسير سورة الحجر

قوله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾﴾

تقدّم معناه<sup>(١)</sup>. و«الكتاب» قيل فيه: إنّه اسمٌ لجنسِ الكتبِ المتقدّمة من التوراة والإنجيل، ثم قرنها بالكتابِ المبين. وقيل: الكتابُ هو القرآنُ، جَمَعَ له بينَ الاسمين<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١﴾﴾

«رُبَّ» لا تدخلُ على الفعل، فإذا لَحِقَتْها «ما»؛ هيأتها<sup>(٣)</sup> للدخول على الفعل، تقول: رُبَّمَا قام زيدٌ، وربما يقومُ زيد. ويجوزُ أن تكونَ «ما» نكرةً بمعنى شيء، و«يودُّ» صفةٌ له، أي: رُبَّ شيءٍ يودُّ الكافر<sup>(٤)</sup>.

وقرأ نافعٌ وعاصمٌ: «رُبَّمَا» مخفّف الباء. الباقون مشدّدة<sup>(٥)</sup>، وهما لغتان. قال أبو حاتم: أهلُ الحجازِ يُخَفِّفُونَ «رُبَّمَا»<sup>(٦)</sup>؛ قال الشاعر<sup>(٧)</sup>:

(١) ٤٤٥/١٠ - ٤٤٧.

(٢) ينظر النكت والعيون للماوردي ١٤٧/٣.

(٣) في (ظ) و(د) و(ز): لحقه... هياه.

(٤) ينظر تفسير الطبري ٦/١٤، ومعاني القرآن للأخفش ٦٠٢/٢، ومعاني القرآن للزجاج ١٧٣/٣، وأمالي ابن الشجري ٥٦٦/٢ - ٥٦٧.

(٥) السبعة ص ٣٦٦، والتيسير ص ١٣٥.

(٦) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣٧٥/٢.

(٧) هو عدي بن الرّعاء الغسّاني، وسلف البيت ١٢/٥.

رَبِّمَا ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ صَقِيلٍ      بَيْنَ بُضْرَى وَطَعْنَةٍ نَجْلَاءِ  
 وَتَمِيمٍ وَقَيْسٍ وَرَبِيعَةَ يَثْقُلُونَهَا<sup>(١)</sup>. وَحُكِّيَ فِيهَا: رَبِّمَا وَرَبِّمَا، وَرَبِّتَمًا وَرَبِّتَمًا،  
 بِتَخْفِيفِ الْبَاءِ وَتَشْدِيدِهَا أَيْضًا<sup>(٢)</sup>. وَأَصْلُهَا أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الْقَلِيلِ، وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ فِي  
 الْكَثِيرِ، أَي: يَوْذُ الْكُفَّارِ فِي أَوْقَاتٍ كَثِيرَةٍ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ<sup>(٣)</sup>؛ قَالَه الْكُوفِيُّونَ. وَمِنْهُ  
 قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَلَا رَبِّمَا أَهَدَتْ لَكَ الْعَيْنُ نَظْرَةً      قُصَارَاكَ مِنْهَا أَنَّهَا عَنْكَ لَا تُجْدِي<sup>(٤)</sup>  
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ لِلتَّقْلِيلِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ  
 لَا فِي كُلِّهَا<sup>(٥)</sup>؛ لِشَغْلِهِمْ بِالْعَذَابِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ: «رَبِّمَا يَوْذٌ» وَهِيَ إِنَّمَا تَكُونُ لَمَّا  
 وَقَعَ؛ لِأَنَّهُ لِيَصْدُقَ الْوَعْدُ كَأَنَّهُ عِيَانٌ قَدْ كَانَ.

وخرَجَ الطَّبْرَانِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
 «إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا، ثُمَّ  
 يُعَيَّرُهُمْ أَهْلُ الشَّرْكِ<sup>(٦)</sup>، فَيَقُولُونَ: مَا نَرَى مَا كُنْتُمْ تُخَالِفُونَا فِيهِ مِنْ تَصْدِيقِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ  
 نَفَعَكُمْ، فَلَا يَبْقَى مَوْحِدٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ قرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿رَبِّمَا يَوْذُ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٧٥، وفيه: «بكر» بدل «ربيعة».

(٢) وقال ابن هشام في المغني ص ١٨٤: وفي ربِّ سَتْ عَشْرَةَ لَفْظًا: ضَمُّ الرَّاءِ وَفَتْحُهَا، وَكِلَاهُمَا مَعَ التَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، وَالْأَوْجُهَ الْأَرْبَعَةَ مَعَ تَاءِ التَّأْنِيثِ سَاكِنَةً أَوْ مَحْرُوكَةً مَعَ التَّجْرُدِ مِنْهَا، فَهَذِهِ اثْنَتَا عَشْرَةَ، وَالضَّمُّ وَالْفَتْحُ مَعَ إِسْكَانِ الْبَاءِ، وَضَمُّ الْحَرْفَيْنِ مَعَ التَّشْدِيدِ مَعَ التَّخْفِيفِ.

(٣) ينظر النكت والعيون ٣/١٤٨، والمحزر الوجيز ٣/٣٤٩.

(٤) في (د) و(ز): تجزي، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/١٤٨.

(٥) النكت والعيون ٣/١٤٨.

(٦) في (ظ): النار.

(٧) المعجم الأوسط للطبراني (٥١٤٢)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٤/٩٢ لابن مردويه، وصحح إسناده. وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٣٧٩: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير بسام الصيرفي وهو ثقة.

قال الحسن: إذا رأى المشركون المؤمنين<sup>(١)</sup> وقد دخلوا الجنة، وماواهم<sup>(٢)</sup> في النار، تمنوا أنهم كانوا مسلمين. وقال الضحاك: هذا التمني إنما هو عند المعاينة في الدنيا حين تبين<sup>(٣)</sup> لهم الهدى من الضلالة. وقيل: في القيامة إذا رأوا كرامة المؤمنين، وذلل الكافرين<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ تهديد لهم. ﴿وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ﴾ أي: يشغلهم عن الطاعة. يُقال: ألهاه عن كذا، أي: شغله، ولهي هو عن الشيء يلهي<sup>(٥)</sup>. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إذا رأوا القيامة، وذاقوا وبال ما صنعوا. وهذه الآية منسوخة بالسيف<sup>(٦)</sup>.

الثانية: في «مسند» البزار، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة من الشقاء: جمود العين، وقساوة<sup>(٧)</sup> القلب، وطول الأمل، والحِرْصُ على الدنيا»<sup>(٨)</sup>.

وطول الأمل داءٌ عُضالٌ ومرضٌ مُزمن، ومتى تمكّن من القلب فسدَ مزاجه، واشتدَّ علاجه، ولم يفارقه داءٌ، ولا نجع<sup>(٩)</sup> فيه دواء، بل أعيا الأطباء، وينس من

(١) في (د) و(ز) و(م): المسلمين، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ١٤٨/٣.

(٢) في (ظ) و(د) و(ز): وما رأوهم، وفي النكت والعيون ١٤٨/٣: وصارواهم.

(٣) في (ظ): حتى يتبين.

(٤) النكت والعيون ١٤٧/٣ - ١٤٨.

(٥) تهذيب اللغة ٤٢٨/٦.

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية ٣/٣٥٠، وزاد المسير لابن الجوزي ٤/٣٨٢، وآية السيف هي قوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا لِلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

(٧) في (د) و(ز): وقساء.

(٨) كشف الأستار (٣٢٣٠)، وسلف ٢/٢٠٥، ونقلنا ثمة كلام الذهبي فيه: حديث منكر.

(٩) في (ظ): ينجع.

بُرْئِهِ الْحُكَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ. وَحَقِيقَةُ الْأَمْلِ: الْحَرَصُ عَلَى الدُّنْيَا، وَالْإِنْكَبَابُ عَلَيْهَا، وَالْحُبُّ<sup>(١)</sup> لَهَا، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْآخِرَةِ.

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «نَجَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْيَقِينِ وَالزَّهْدِ، وَيَهْلِكَ آخِرُهَا بِالْبَخْلِ وَالْأَمْلِ»<sup>(٢)</sup>.

وَيُرَوَّى عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ؓ، أَنَّهُ قَامَ عَلَى دَرَجِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ دِمَشْقَ، أَلَا تَسْمَعُونَ مِنْ أَخٍ لَكُمْ نَاصِحٍ، إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ كَانُوا يَجْمَعُونَ كَثِيرًا، وَيَبْنُونَ مُشِيدًا، وَيَأْمُلُونَ بَعِيدًا، فَأَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُورًا، وَبَنَانُهُمْ قُبُورًا، وَأَمْلُهُمْ غُرُورًا، هَذِهِ عَادَةٌ قَدِ مَلَأَتْ الْبِلَادَ أَهْلًا وَمَالًا، وَخِيَلًا وَرَجَالًا، فَمَنْ يَشْتَرِي مِنِّي الْيَوْمَ تَرْكَتَهُمْ بِدَرَهْمِينَ<sup>(٣)</sup>؟! وَأَنْشُدُ<sup>(٤)</sup>:

يَا ذَا<sup>(٥)</sup> الْمُؤْمَلُ أَمَالًا وَإِنْ بَعُدَتْ      مِنْهُ وَيَزْعَمُ أَنْ يَحْطَى بِأَقْصَاهَا  
أَنْتَى تَفُوزُ بِمَا تَرْجُوهُ وَنَيْكَ وَمَا      أَصْبَحْتَ فِي ثِقَةٍ مِنْ نَيْلِ أَدْنَاهَا  
وَقَالَ الْحَسَنُ: مَا أَطَالَ عَبْدُ الْأَمْلِ إِلَّا أَسَاءَ الْعَمَلَ. وَصَدَقَ ﷺ؛ فَالْأَمْلُ يُكْسِلُ  
عَنِ الْعَمَلِ<sup>(٦)</sup>، وَيُورِثُ التَّرَاخِيَّ وَالتَّوَانِيَّ، وَيُعْقِبُ التَّشَاغَلَ وَالتَّقَاعُسَ، وَيُخْلِدُ إِلَى

(١) فِي (ظ): وَالْحَث.

(٢) أَخْرَجَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْيَقِينِ (٣) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لَهِيْعَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَعِيبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ. وَأُورِدَهُ الْمُنْذَرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ (٤٨٩٦). وَعَبَدَ اللَّهُ بِنِ لَهِيْعَةَ ضَعِيفٌ.

وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٧٦٤٦)، وَالْخَطِيبُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ ١٨٦/٧، وَالْمِزِيُّ فِي تَهْذِيبِ الْكَمَالِ ١٠٦/٥ - ١٠٧، مِنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَعِيبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، مَرْفُوعًا. قَالَ الْمُنْذَرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ (٤٧٠٢) وَ(٤٨٩٥): إِسْنَادُهُ مُحْتَمَلٌ لِلتَّحْسِينِ، وَمَتْنُهُ غَرِيبٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ - مُخْتَصَرًا مَطْوَلًا - ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ (٨٤٧)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٣٠٥/١٣ - ٣٠٦، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ ٢١٣/١، وَابْنُ بَيْهَقِيٍّ فِي الشَّعْبِ (١٠٧٣٩) وَ(١٠٧٤٠)، وَالْخَطِيبُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ ٩٥/٤ - ٩٦.

(٤) فِي (ظ): وَأَنْشَدُوا، وَلَمْ تَقْفَ عَلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ.

(٥) فِي (ظ): يَأْتِي.

(٦) فِي (ظ): فَالْعَمَلُ يَكْسِلُ عَنْهُ الْأَمْلُ.

الأرض، ويُميلُ إلى الهوى. وهذا أمرٌ قد شوهد بالعيان، فلا يحتاج إلى بيان، ولا يُظَلَّبُ صاحبه ببرهان، كما أن قَصْرَ الأمل يبعث على العمل، ويَحْمِلُ<sup>(١)</sup> على المبادرة، ويحثُّ على المسابقة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾﴾

أي: أجلٌ مؤقَّتٌ كُتِبَ لهم في اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿مَا نَسِيْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾﴾

«من» صلة؛ كقولك: ما جاءني من أحد، أي: لا تتجاوزُ أجلها فتزيدُ عليه، ولا تتقدمُ قبله<sup>(٢)</sup>. ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِئِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾﴾

قاله كفارُ قريشٍ لمحمدٍ ﷺ على جهة الاستهزاء، ثم طلبوا منه إتيانَ الملائكة دَلَالَةً على صدقِهِ. و«لَوْ مَا» تحضيضٌ على الفعل، كـ «لولا» و«هَلَّا»<sup>(٣)</sup>. وقال الفراء: الميم في «لوما» بدلٌ من اللام في «لولا». ومثله: استولى على الشيء. واستومى عليه، ومثله: خالته وخالته، فهو خَلِيٌّ وخَلْمِي، أي: صديقي<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا يجوز «لوما» بمعنى الخبر، تقول: لوما زيدٌ لُضْرِبَ عمرو. قال الكسائي: لولا ولوما سواءٌ في الخبر والاستفهام. قال ابن مُقْبِل:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِبْتُكَمَا      ببعض ما فيكما إذ عبتُما عَوْرِي<sup>(٥)</sup>

(١) في (د) و(ز) و(م): ويحيل.

(٢) ينظر زاد المسير لابن الجوزي ٣٨٣/٤.

(٣) ينظر الوسيط للواحد ٤٠/٣، وزاد المسير ٣٨٣/٤.

(٤) تفسير الرازي ١٥٩/١٩، وينظر اللسان (ولي).

(٥) في (ظ) و(ز): عَوْدِي، والبيت في ديوان ابن مقبل - وهو تميم - ص ٧٦، وفيه: لولا، بدل: لوما =

يريد: لولا الحياء.

وحكى النحاس<sup>(١)</sup>: لوما، ولولا، وهلاً؛ واحد. وأنشد أهل اللغة على ذلك: تَعُدُّونَ عَقْرَ النَّيْبِ<sup>(٢)</sup> أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بني ضَوْطَرَى لولا الكَمِيِّ الْمُقَنَّعَا<sup>(٣)</sup> أي: هَلَّا تَعُدُّونَ الكَمِيِّ الْمُقَنَّعَا.

قوله تعالى: ﴿مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾﴾

قرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ واختاره أبو عبيد. وقرأ أبو بكر والمفضل: ﴿مَا تُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾. الباقون: ﴿مَا تُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾<sup>(٤)</sup>. وتقديره: ما تنزل؛ بتاءين، حذف إحداهما تخفيفاً، وقد شدد التاء البزِّي<sup>(٥)</sup>، واختاره أبو حاتم اعتباراً بقوله: ﴿نُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ﴾ [القدر: ٤].

ومعنى ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلا بالقرآن. وقيل: بالرسالة؛ عن مجاهد. وقال الحسن: إِلَّا بِالْعَذَابِ إن لم يؤمنوا<sup>(٦)</sup>. ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ أي: لو تنزلت الملائكة ياهلاكهم؛ لما أمهلوا، ولا قبلت لهم توبة. وقيل: المعنى: لو تنزلت الملائكة تشهد لك، فكفروا بعد ذلك؛ لم يُنظَرُوا<sup>(٧)</sup>. وأصل «إذا»: «إذ أن»<sup>(٨)</sup>، ومعناه: حينئذ، فُضِمَ

= في الموضوعين، ورواية المصنف في تفسير الطبري ١٥/١٤، ومجاز القرآن ٣٤٦/١.

(١) في معاني القرآن ١٠/٤.

(٢) في (د) و(ز): البيت.

(٣) البيت لجرير، وهو في ديوانه ٩٠٧/٢، وسلف ٣٤٢/٢ ونسبه المصنف ثمة للأشهب بن رُميلة، ٣٦٨/٨.

(٤) السبعة ص ٣٦٦، والتيسير ص ١٣٥، وأبو بكر: هو شعبة راوي عاصم.

(٥) التيسير ص ٨٣.

(٦) النكت والعيون ١٤٩/٣، وأثر مجاهد في تفسيره ٣٣٩/١، وأخرجه عنه الطبري ١٧/١٤ - ١٨.

(٧) ينظر الوسيط للواحدى ٤٠/٣، وتفسير السمرقندي ٢١٥/٢، والمحور الوجيز ٣٥١/٣.

(٨) نسبه المالقي في رصف المباني في شرح حروف المعاني ص ٦٩ - ٧٠ إلى الكوفيين، ثم رده من وجهين، أحدهما: أن الأصل في الحروف البساطة، ولا يدعى التركيب إلا بدليل قاطع. والثاني: أنها لو كانت مركبة من «إذ» و«أن» لكانت ناصبة على كل حال، تقدمت أو تأخرت، وعدم العمل أحياناً دليل على عدم التركيب.

إليها أن، واستثقلوا الهمزة فحذفوها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ يعني: القرآن. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من أن يُزاد فيه أو يُنقص منه<sup>(١)</sup>. قال قتادة وثابت البناني: حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلاً، أو تنقص منه حقاً<sup>(٢)</sup>. فتولّى سبحانه حفظه، فلم يزل محفوظاً، وقال في غيره: ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، فوكل حفظه إليهم، فبدّلوا وغيروا<sup>(٣)</sup>.

أبانا الشيخ الفقيه الإمام أبو القاسم عبد الله<sup>(٤)</sup>، عن أبيه الشيخ الفقيه الإمام المحدث أبي الحسن عليّ بن خلف بن معزوز الكومي التلمساني قال: قرئ على الشيخة العالمية فخر النساء شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج الدينوري، وذلك بمنزلها بدار السلام في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وستين وخمس مائة، قيل لها: أخبركم الشيخ الأجلّ العامل نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بن محمد الزينبي قراءةً عليه وأنت تسمعين سنة تسعين وأربع مائة، أخبرنا عليّ بن عبد الله بن إبراهيم، حدّثنا أبو علي عيسى بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المعروف بالطوماري، حدّثنا الحسين بن فهم قال: سمعت يحيى بن أكثم<sup>(٥)</sup> يقول: كان للمأمون - وهو أميرٌ إذ ذاك<sup>(٦)</sup> - مجلسٌ نظر، فدخل في جملة الناس رجلٌ يهودي حسن الثوب، حسن الوجه، طيب الرائحة. قال: فتكلم، فأحسن الكلام

(١) معاني القرآن للزجاج ١٧٤/٣.

(٢) أخرجه عنهما عبد الرزاق في التفسير ٣٤٥/١، وأخرجه عن قتادة الطبري في التفسير ١٨/١٤ - ١٩.

(٣) بداية سقط في (ظ).

(٤) هو: عبد الله بن علي بن خلف بن معزوز الكومي، ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات ٤٧٩/١٥ - ٤٨٢ في ترجمة سنجر الأمير علم الدين الدواداري في عداد شيوخه، وقد روى عنه سنجر بمنية بني خصيب.

(٥) هو: قاضي القضاة أبو محمد، يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن، ولد في خلافة المهدي، وكان من أئمة الاجتهاد، وله تصانيف منها كتاب «التنبيه». (ت ٢٤٢هـ). أخبار القضاة لوكيع ١٦١/٢، وسير أعلام النبلاء ٥/١٢.

(٦) قوله: وهو أميرٌ إذ ذاك، ليس في (د)، وفي المنتظم لابن الجوزي ٥١/١٠: قبل تقلده الخلافة.

والعبارة. قال: فلما تقوَّض المجلس، دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم. قال له: أسلم حتى أفعَلْ لك<sup>(١)</sup> وأصنع. ووعده. فقال: ديني ودين آبائي وانصرف. قال: فلما كان بعد سنةٍ جاءنا مُسلماً، قال: فتكلَّم على الفقه، فأحسن الكلام، فلما تقوَّض المجلس، دعاه المأمون وقال: ألسنتُ صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى. قال: فما كان سببَ إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك، فأحببتُ أن أمتحنَ هذه الأديان، وأنت تراني حسنَ الخط، فعمدْتُ إلى التوراة، فكتبتُ ثلاث نسخ، فزدتُ فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة، فاشترت مني، وعمدْتُ إلى الإنجيل، فكتبتُ ثلاث نسخ، فزدتُ فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة، فاشترت مني، وعمدْتُ إلى القرآن، فعملت ثلاث نسخ، وزدتُ فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين فتصفَّحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها، فلم يشتروها، فعلمتُ أن هذا كتابٌ محفوظ، فكان هذا سببَ إسلامي.

قال يحيى بنُ أكثم: فَحَجَجْتُ تلك السنة، فلقيت سفيانَ بنَ عُيينة، فذكرت له الخبر، فقال لي: مصداقُ هذا في كتاب الله عزَّ وجلَّ. قال: قلت: في أيِّ موضع؟ قال: في قولِ الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل: ﴿يَمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، فجعلَ حفظه إليهم فضاغ، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فحفظه الله عزَّ وجلَّ علينا فلم يَضِع<sup>(٢)</sup>.

وقيل: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي: لمحمد ﷺ من أن يتقول علينا، أو يتقول<sup>(٣)</sup> عليه.

أو ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من أن يُكاد أو يُقتل<sup>(٤)</sup>. نظيره ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

[المائدة: ٦٧].

(١) في النسخ: بك، والمثبت من المتظم ٥١/١٠.

(٢) نهاية السقط في (ظ)، والقصة بتمامها في المتظم ٥١/١٠.

(٣) في (د) و(ز) و(م): نقول، والمثبت من (ظ).

(٤) ينظر معاني القرآن للفراء ٨٥/٢، وتفسير الطبري ١٩/١٤، والمححر الوجيز ٣٥١/٣ - ٣٥٢.

والكشاف ٣٨٨/٢.

و«نحن» يجوز أن يكون موضعهُ رفعاً بالابتداء و«نزلنا» الخبر. والجملة خبرٌ «إنَّ». ويجوزُ أن يكونَ «نحن» تأكيداً لاسم «إنَّ» في موضع نصبٍ<sup>(١)</sup>، ولا تكون فاصلةً<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ الذي بعدها ليس بمعرفةٍ، وإنما هو جملةٌ، والجملةُ تكونُ نعتاً<sup>(٣)</sup> للنكرات، فحكمها حكمُ النكرات.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْبِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾

المعنى: ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً، فحذف. والشَّيْعُ جمعُ شبيعة، وهي الأمة، أي: في أممهم؛ قاله ابنُ عباسٍ وقتادة. الحسن: في فِرَقِهِمْ. والشَّيْعَةُ: الفِرْقَةُ والطائفة من الناس المتألفة المتفقة الكلمة، فكانَ الشَّيْعُ الفِرْقُ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلِسْكُمْ شِيْعًا﴾ [الأنعام: ٦٥]، أي: فِرْقًا<sup>(٤)</sup>، وأصله مأخوذٌ من الشَّيْع، وهو الحطبُ الصغارُ يوقد به الكبارُ، كما تقدّم في «الأنعام»<sup>(٥)</sup>. وقال الكلبيُّ: إنَّ الشَّيْعَ هنا القرى<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٧﴾﴾

تسليّةً للنبيِّ ﷺ، أي: كما فعل بك هؤلاء المشركون، فكذلك فعل بمن قبلك من الرسل<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمَجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ

سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ﴾ أي: الضلال والكفر، والاستهزاء والشرك. ﴿في﴾

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٧٧/٢.

(٢) وجوزّه النحاس في إعراب القرآن ٣٧٧/٢.

(٣) في (ظ): والجملة تكون نعتاً.

(٤) ينظر النكت والعيون ٣/١٤٩، والوسيط ٣/٤٠، وزاد المسير ٤/٣٨٤ - ٣٨٥، وتفسير الطبري ١٩/١٤.

(٥) ٤١٤/٨.

(٦) النكت والعيون ٣/١٥٠، وفيه «القبائل» بدل «القرى»، وما عندنا نسخة في هامشه.

(٧) المحرر الوجيز ٣/٣٥٢، والوسيط ٣/٤٠، وزاد المسير ٤/٣٨٥.

قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾ من قومك، عن الحسن وقتادة وغيرهما. أي: كما سلكناهُ في قلوبِ مَنْ تقدم من شيع الأولين؛ كذلك نسلُكهُ في قلوبِ مشركي قومك حتى لا يؤمنوا بك، كما لم يؤمن مَنْ قبلهم برسولهم. وروى ابنُ جُريح عن مجاهدٍ قال: نسلُكُ التَّكْذِيبِ<sup>(١)</sup>. والسَّلُّكُ: إدخالُ الشيء في الشيء، كإدخالِ الخيطِ في المِخِيطِ. يُقال: سَلَكَه يَسْلُكُه سَلْكَاً وَسُلُوكاً، وَأَسْلَكه إِسْلَاكاً. وَسَلَكَ الطَّرِيقَ سُلُوكاً وَسَلْكَاً، وَأَسْلَكه: دخله، والشيء في غيره مثله، والشيء كذلك، والرُّمَحَ، والخِيطَ في الجِوهرِ، كُلُّه فَعَلَ وَأَفْعَلَ<sup>(٢)</sup>. وقال عَدِيُّ بن زيد:

وقد سلوكك في يوم عَصِيبِ<sup>(٣)</sup>

والسَّلُّكُ، بالكسر الخِيطُ. وفي الآية ردُّ على القَدْرِيَّةِ والمَعْتَزَلَةِ.

وقيل: المعنى: نسلك القرآن في قلوبهم، فيكذبون به. وقال الحسن ومُجاهد وقتادة القول الذي عليه أكثرُ أهل التفسير، وهو أَلْزَمُ حِجَّةً على المَعْتَزَلَةِ. وعن الحسن أيضاً: نسلُكُ الذِّكْرِ إِلْزاماً للحِجَّةِ<sup>(٤)</sup>؛ ذكره العَرْنَؤِيُّ.

﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: مضت سنةُ الله بإهلاك الكفارِ، فما أقرَّب هؤلاء من الهلاك! وقيل: «خلت سنة الأولين» بمثل ما فعل هؤلاء من التَّكْذِيبِ والكفرِ، فهم يقتدون بأولئك<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿٧﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿٨﴾﴾

يُقال: ظلَّ يفعل كذا، أي: يفعلُه بالنهار. والمصدرُ: الظَّلُولُ. أي: لو أُجِيبوا إلى

(١) معاني القرآن للنحاس ١٢/٤، وتفسير الطبري ٢٠/١٤ - ٢١، والنكت والعيون ٣/١٥٠، والمحرو الوجيز ٣/٣٥٢ - ٣٥٣.

(٢) ينظر الأفعال للسرقسطي ٣/٤٩٥، واللسان (سلك).

(٣) عجز بيت، وصدرة: وكنت لزازاً خصوك لم أعرد، وهو في مجاز القرآن ١/٢٩٤، وتفسير الطبري ١٤/٢٢، والأغاني ٢/١١١، وأورده إبراهيم الحربي في غريب الحديث ١/٣٠٣ دون نسبة.

(٤) النكت والعيون ٣/١٥٠، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٣٧٧.

(٥) زاد المسير ٤/٣٨٥، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٧٤، وتفسير السمرقندي ٢/٢١٥.

ما اقترحوا من الآيات، لأصروا على الكفر، وتعللوا بالخيالات<sup>(١)</sup>، كما قالوا للقرآن المعجز: إنه سحرٌ.

«يَعْرُجُونَ» من عَرَجَ يَعْرُجُ، أي: صَعِدَ. والمعارِجُ: المصاعد. أي: لو صَعِدُوا إلى السماء، وشاهدوا الملكوتَ والملائكةَ، لأصروا على الكفر؛ عن الحسن وغيره. وقيل: الضميرُ في «عليهم» للمشركين. وفي «فَطَّلُوا» للملائكة، تذهبُ وتجيء. أي: لو كُشِفَ لهؤلاء حتى يُعاینوا أبواباً في السماء تصعدُ فيها الملائكةُ وتنزلُ، لقالوا: رأينا بأبصارنا ما لا حقيقةَ له؛ عن ابن عباسٍ وفتادة<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ﴿سُكِّرَتْ﴾: سُدَّتْ بالسَّحْرِ؛ قاله ابنُ عباسٍ والضَّحَّاكُ. وقال الحسن: سُحِرَتْ. الكلبي: أغشيت أبصارنا، وعنه أيضاً: عَمِيَتْ. فتادةٌ: أخذت. وقال المؤرِّجُ: دِيرَ بنا، من الدوران، أي: صارت أبصارنا سكرى. جُوَيْرِ: خُدِعَتْ. وقال أبو عمرو بن العلاء: «سُكِّرَتْ»: غُشِيَتْ وَعُطِّيَتْ. ومنه قولُ الشاعرِ:  
وطلعتُ شمسٌ عليها مغفُراً  
وجعلتُ عينُ الحَرورِ تَسْكُرُ<sup>(٣)</sup>

وقال مجاهد: «سُكِّرَتْ»: حُجِسَتْ. ومنه قولُ أوس بنِ جحْرٍ:  
فصرت على ليلَةٍ ساهره  
فليست بطلقٍ ولا ساكِرَه<sup>(٤)</sup>  
قلتُ: وهذه أقوال<sup>(٥)</sup> متقاربةٌ يجمعها قولك: مُنِعَتْ.

(١) زاد المسير ٣٨٦/٤، والوسيط ٤٠/٣ - ٤١، وينظر الطبري ٢٣/١٤.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/١٤ - ٢٥، والوسيط ٤١/٣، والمحزر الوجيز ٣/٣٥٣.

(٣) الرجز لجندل بن المثنى، ونسبه إليه الطبري ٢٩/١٤ وأورد الثاني منه، وأورده بتمامه أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٣٤٨، والماوردي في النكت والعيون ٣/١٥١ دون نسبة. والحَرور: الريح الحارة. الصحاح (حرر). والمعنى: يسكن حرها وتخبر. لسان العرب (قبر)، ووقع في (ظ): الجزور.

(٤) البيت في ديوانه ص ٣٤، وأورده في اللسان (سكر) وفيه «جدلت» بدل «فصرت»، وأورده أيضاً بلفظ:

تزداد ليلالي في طولها فليست بطلق ولا ساكِرَه

وفي النكت والعيون ٣/١٥١: «فصرن» بدل: «فصرت».

(٥) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢٥/١٤ - ٢٩، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٧٥، والنكت

والعيون ٣/١٥١، وزاد المسير ٣٨٦/٤.

قال ابنُ عَرَبٍ (١): «سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا»: سُدَّتْ أَبْصَارُنَا؛ هو من قولك: سَكَّرْتُ النهرَ: إذا سَدَّدْتَهُ. ويقال: هو من سُكِّرِ الشراب، كأنَّ العينَ يلحِقُها ما يلحِقُ الشاربَ إذا سَكِرَ.

وقرأ ابنُ كَثِيرٍ: «سُكِّرَتْ» بالتخفيف. والباقون بالتشديد (٢). قال ابنُ الأعرابي: سُكِّرَتْ: مُلِئَتْ (٣).

قال المهدويُّ: والتخفيفُ والتشديدُ في «سُكِّرَتْ» ظاهران، التشديدُ للتكثير، والتخفيفُ يؤدِّي عن معناه، والمعروفُ أنَّ «سَكِرَ» لا يتعدَّى.

قال أبو علي (٤): يجوزُ أن يكون سُمِعَ متعدياً في البصر. ومَن قرأ: «سَكِرَتْ» (٥) فإنه شبه ما عَرَضَ لأبصارهم بحالِ السكران، كأنَّها جرت مجرى السكران؛ لعدم تحصيله. وقد قيل: إنَّه بالتخفيفِ، من سُكِرِ الشراب، وبالتشديد مأخوذٌ من سَكَّرَتْ الماء. وقيل: سُكِّرَتْ مخففاً: سُجِّرَتْ، وبالتشديد (٦): أُخِذَتْ، ذكرهما الماوردي.

وقال النَّحَّاسُ (٧): والمعروفُ من قراءة مجاهدٍ والحسن: «سُكِّرَتْ» بالتخفيف. قال الحسنُ: أي: سُجِّرَتْ. وحكى أبو عبيد، عن أبي عبيدة أنه يقال: سُكِّرَتْ أَبْصَارُهُمْ: إذا غَشِيَهَا سَمَادِيرٌ (٨) حتى لا يبصروا. وقال الفراء: مَن قرأ: «سَكِرَتْ»

(١) في نزهة القلوب ص ٢٧٦.

(٢) السبعة ص ٣٦٦، والتيسير ص ١٣٦.

(٣) ينظر تهذيب اللغة ٥٥/١٠، ولسان العرب (سكر).

(٤) هو الفارسي، وينظر كلامه بنحوه في الحجة للقراء السبعة ٤٣/٥ - ٤٤، وينظر الدر المصون ١٤٩/٧.

(٥) هي قراءة الزهري كما في البحر المحيط ٤٤٨/٥.

(٦) قوله: مأخوذ من سكرت، إلى هذا الموضع من (ظ)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ١٥١/٣.

(٧) في معاني القرآن ١٤/٤.

(٨) السَّمَادِيرُ: قيل: هو الشيء الذي يترأى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب، وغشي النعاس والدوار. اللسان (سمدر)، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ٣٤٧/١، وقد نقله عنه المصنف بواسطة معاني القرآن للنحاس.

أخذه من سُكُورِ الرِّيحِ<sup>(١)</sup>.

قال النحاس: وهذه الأقوال متقاربة، والأصلُ فيها ما قال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله تعالى، قال: هو من السُّكْرِ في الشرابِ<sup>(٢)</sup>.

وهذا قولٌ حسن، أي: غَشِيَهُمْ ما غَطَّى أَبْصَارَهُمْ، كما غَشِيَ السُّكْرانُ ما غَطَّى عقله<sup>(٣)</sup>. وسُكُورُ الرِّيحِ: سكونها وفُتُورُها، فهو يرجعُ إلى معنى التحيير<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾

لَمَّا ذَكَرَ كُفْرَ الكَافِرِينَ، وَعَجَزَ أَصْنَامَهُمْ، ذَكَرَ كَمَالَ قُدْرَتِهِ؛ لِيُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ. والبروجُ: القصورُ والمنازل. قال ابنُ عباس: أي: جعلنا في السماء بروجَ الشمسِ والقمرِ، أي: منازلَهُما. وأسماءُ هذه البروجِ: الحَمَلُ، والثَّورُ، والجُوزاءُ، والسَّرطانُ، والأَسَدُ، والسُّنْبُلَةُ، والميزانُ، والعقربُ، والقوسُ، والجَدِّي، والدَّلُو، والحوث<sup>(٥)</sup>. والعربُ تُعَدُّ المَعْرِفَةَ لمواقع النجومِ وأنوائها<sup>(٦)</sup> من أجلِّ العلومِ، ويستدلُّونَ بها على الطرقاتِ والأوقاتِ، والخِصْبِ والجَدْبِ. وقالوا: الفَلَكُ اثنا عشرَ بُرْجًا، كلُّ بُرْجٍ مِيلانٌ ونصف<sup>(٧)</sup>. وأصلُ البروجِ الظهورُ؛ ومنه تَبَرُّجُ المِراةِ بإظهارِ زِينَتِها، وقد تقدَّم هذا المعنى في النساءِ<sup>(٨)</sup>. وقال الحسن وقتادة: البروجُ: النجومُ،

(١) في (د) و(ظ) ومعاني النحاس: سكون الرِّيحِ، وعبارة الفراء في معاني القرآن ٨٦/٢: قد سكرت الرِّيحُ إذا سكنت وركدت، ونقل المصنف كلام الفراء بواسطة معاني القرآن للنحاس.

(٢) معاني القرآن ١٤/٤، وينظر الطبري ٢٦/١٤، وزاد المسير ٣٨٦/٤.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٨/١٤.

(٤) ينظر معاني القرآن للزجاج ١٧٥/٣.

(٥) زاد المسير ٣٨٧/٤، وينظر الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ١٦١/١.

(٦) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: وأبوابها.

(٧) كذا في النسخ غير (ظ)، ففيها: ليلتان ونصف، ولعل الصواب: منزلتان وثلث. كما ذكر المصنف في تفسير الآية (٣٩) من سورة ياسين، وينظر مفتاح دار السعادة ١٩٥/٢، ولسان العرب (برج).

(٨) ٤٦٧ - ٤٦٤/٦.

وسُميت بذلك؛ لظهورها وارتفاعها. وقيل: الكواكبُ العظامُ؛ قاله أبو صالح، يعني: السبعة السَّيَّارة<sup>(١)</sup>. وقال قومٌ: «بروجاً»؛ أي: قصوراً وبيوتاً فيها الحرَسُ، خَلَقَهَا اللهُ فِي السَّمَاءِ<sup>(٢)</sup>. فالله أعلم. ﴿وَرَبَّيْنَاهَا﴾ يعني: السماء، كما قال في سورة المُلْك: ﴿وَلَقَدْ رَبَّيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ [الملك: ٥]. ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾: للمعتبرين والمُتَّفَكِّرِينَ.

قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ﴿٧﴾

أي: مرجوم. والرَّجْمُ: الرميُّ بالحجارة. وقيل: الرجمُ: اللَّعْنُ والطرْدُ. وقد تقدّم<sup>(٣)</sup>. وقال الكسائي: كلُّ رَجِيمٍ<sup>(٤)</sup> في القرآنِ فهو بمعنى الشَّتْمِ. وزعم الكلبيُّ أنَّ السماواتِ كُلَّهَا لم تُحفظ من الشياطين إلى زمنِ عيسى، فلما بعث اللهُ تعالى عيسى، حُفِظَ مِنْهَا ثَلَاثُ سَمَاوَاتٍ إِلَى مَبْعَثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فحُفِظَ جَمِيعُهَا بَعْدَ بَعْثِهِ، وَحُرِسَتْ مِنْهُمْ بِالشُّهُبِ<sup>(٥)</sup>. وقاله ابنُ عباسٍ ﷺ. قال ابنُ عباسٍ: وقد كانتِ الشياطين لا يُحجَبون عن السماء، فكانوا يدخلونها، ويُلقون أخبارها إلى<sup>(٦)</sup> الكهنة، فيزيدون عليها تسعاً، فيحدثون بها أهلَ الأرض، الكلمة حقٌّ والتسع باطلٌ؛ فإذا رأوا شيئاً مما قالوه، صدَّقوهم فيما جاؤوا به، فلَمَّا وُلِدَ عيسى ابنُ مريمَ عليهما السلام، مُنِعوا من ثلاثِ سماوات، فلَمَّا وُلِدَ مُحَمَّدٌ ﷺ، مُنِعوا من السماواتِ كُلَّهَا، فما منهم من أحدٍ يريدُ استراقَ السَّمْعِ إلا رُمِيَ بِشِهَابٍ<sup>(٧)</sup>، على ما يأتي.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٨﴾

أي: لكن من استرق السَّمْعَ، أي: الحَظْفَةَ اليسيرة. فهو استثناءٌ منقطع. وقيل:

(١) وهي: زُحَل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر.

(٢) النكت والعيون ١٥٢/٣، وزاد المسير ٣٨٧/٤.

(٣) ٢٠١/١١.

(٤) في (د) و(ز) و(م): رجيم.

(٥) النكت والعيون ١٥٢/٣.

(٦) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: على.

(٧) تفسير الطبري ٣٢/١٤، وتفسير أبي الليث ٢١٦/٢، والوسيط ٤١/٣، وزاد المسير ٣٨٩/٤.

هو مُتصل، أي: إلا مَمَّن استرقَّ السمع<sup>(١)</sup>. أي: حَفِظْنَا السَّمَاءَ مِنَ الشَّيَاطِينِ أَنْ تَسْمَعَ شَيْئاً مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ<sup>(٢)</sup>، إلا من استرق<sup>(٣)</sup> السمعَ، فإنَّنا لم نحفظها منه أن تَسْمَعَ الْخَبَرَ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ سِوَى الْوَحْيِ، فَأَمَّا الْوَحْيُ، فَلَا تَسْمَعُ مِنْهُ شَيْئاً<sup>(٤)</sup>؛ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]. وإذا استمع الشياطينُ إلى شيءٍ ليس بوحى، فإنَّهم يَقْدِفُونَهُ إِلَى الْكَهَنَةِ فِي أَسْرَعِ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الشُّهُبُ فَتَقْتُلُهُمْ أَوْ تَخْلِبُهُمْ، ذَكَرَهُ الْحَسَنُ وَابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ أتبعه: أدركه وَلِحَقَّهُ. شِهَابٌ: كوكبٌ مُضِيٌّ<sup>(٦)</sup>. وكذلك: ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]. وقوله: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [النمل: ٧] أي: بشعلةٍ نارٍ فِي رَأْسِ عَوْدٍ، قَالَ ابْنُ عَزِيزٍ<sup>(٧)</sup>. وقال ذو الرَّمَّةِ:

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عِفْرِيَّةٍ مُسَوِّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ<sup>(٨)</sup>  
وَسُمِّيَ الْكَوْكَبُ شِهَاباً لِأَنَّهُ<sup>(٩)</sup> لَبْرِيقُهُ يُشْبِهُ النَّارَ. وقيل: شِهَابٌ: شعلة من نار تبيِّنُ لأهلِ الأَرْضِ<sup>(١٠)</sup>، فَتَحْرِقُهُمْ وَلَا تَعُودُ إِذَا أَحْرَقَتْ، كَمَا إِذَا أَحْرَقْتَ النَّارُ لَمْ تَعُدْ، بِخِلَافِ الْكَوْكَبِ، فَإِنَّهُ إِذَا أَحْرَقَ، عَادَ إِلَى مَكَانِهِ.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٧٨، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٧٦، وتفسير الطبري ١٤/٣٢ - ٣٣.

(٢) بعدها في (ظ): من أخبار السماء.

(٣) قوله: من استرق، ليس في (ظ).

(٤) النكت والعيون ٣/١٥٢، وزاد المسير ٤/٣٩٠.

(٥) ذكر قولهما الماوردي في النكت والعيون ٣/١٥٣، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٣٥٤، وابن

الجوزي في زاد المسير ٤/٣٩٠، وأخرجه عن ابن عباس الطبري ١٤/٣٢ - ٣٣.

(٦) الوسيط ٣/٤١ - ٤٢، وزاد المسير ٤/٣٩٠.

(٧) في (ظ): عرفة، وكلام ابن عَزِيزِ فِي نَزْهَةِ الْقُلُوبِ ص ٣٦٧، دون قوله: فِي رَأْسِ عَوْدٍ.

(٨) البيت في ديوانه ١/١١١، قال شارحه أبو نصر الباهلي: وعفريّة: شيطان، ومسوّم: مُعَلَّمٌ مَسُوّمٌ

بالبياض فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، وَيَكُونُ مَسُوْمًا: مَخْلَى عَنْهُ. وَمُنْقَضِبٌ: مُنْقَضٌ.

(٩) ليست في (د) و(ز) و(م).

(١٠) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: لشعلة من نار قبس لأهل الأرض.

قال ابن عباس: تصعدُ الشياطينُ أفواجاً تسترقُ السمعَ، فينفردُ الماردُ منها فيعلو، فيرمى بالشهابِ، فيصيبُ جبهته أو أنفه أو ما شاء الله، فيلتهبُ، فيأتي أصحابه وهو يلهبُ، فيقولُ: إنَّه كان من الأمرِ كذا وكذا، فيذهبُ أولئك إلى إخوانهم من الكهنة، فيزيدون عليها تسعاً، فيحدثون بها أهلَ الأرضِ، الكلمةُ حقٌّ والتسعُ باطلٌ، فإذا رأوا شيئاً مما قالوا قد كان، صدَّقوهم بكلِّ ما جاؤوا به من كذِبهم<sup>(١)</sup>. وسيأتي هذا المعنى مرفوعاً في سورة «سبا» إن شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

واختلِفَ في الشهابِ، هل يقتلُ أم لا؟ فقال ابن عباس: الشهابُ يجرحُ ويحرقُ ويخيلُ، ولا يقتلُ. وقال الحسنُ وطائفةٌ: يقتلُ؛ فعلى هذا القولِ؛ في قتلهم بالشَّهْبِ قبلَ إلقاءِ السمعِ إلى الجنِّ قولان:

أحدهما: أنَّهم يقتلون قبلَ إلقاءِهم ما استرقوه من السمعِ إلى غيرهم، فعلى هذا؛ لا تصلُ أخبارُ السماءِ إلى غير الأنبياء، ولذلك انقطعتِ الكهانةُ.

والثاني: أنَّهم يُقتلون بعدَ إلقاءِهم ما استرقوه من السمعِ إلى غيرهم من الجنِّ، ولذلك ما يعودون إلى استراقه، ولو لم يصلُ، لانقطعَ الاستراقُ، وانقطعَ الإحراقُ. ذكره الماورديُّ<sup>(٣)</sup>.

قلتُ: والقولُ الأوَّلُ أصحُّ على ما يأتي بيانهُ في «الصَّافات»<sup>(٤)</sup>.

واختلِفَ: هل كانَ رميُّ بالشَّهْبِ قبلَ المبعثِ؟ فقال الأكثرون: نعم. وقيل: لا، وإنَّما ذلك بعدَ المبعثِ<sup>(٥)</sup>. وسيأتي بيانُ هذه المسألةِ في سورة الجنِّ إن شاء الله تعالى. وفي «الصَّافات» أيضاً. قال الزَّجاجُ<sup>(٦)</sup>: والرميُّ بالشَّهْبِ من آياتِ النبيِّ ﷺ،

(١) تفسير الطبري ٣٢/١٤، وينظر تفسير السمرقندي ٢١٦/٢.

(٢) في الآية: ٢٣.

(٣) في النكت والعيون ١٥٣/٣.

(٤) الآية: ٨.

(٥) زاد المسير ٣٨٧/٤ - ٣٨٩.

(٦) في معاني القرآن ١٧٦/٣، وينظر زاد المسير ٣٨٨/٤.

مما حدث بعد مولده؛ لأن الشعراء في القديم لم يذكروه في أشعارهم، ولم يُشبهوا الشيء السريع به، كما شبهوا بالبرق والسيل.

ولا يبعد أن يقال: انقضاض الكواكب كان في قديم الزمان، ولكنه لم يكن رجوماً للشياطين، ثم صار رجوماً حين ولد النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقال العلماء: نحن نرى انقضاض الكواكب، فيجوز أن يكون ذلك كما نرى، ثم يصير ناراً إذا أدرك الشيطان. ويجوز أن يقال: يُرمون بشعلة من نار من الهواء، فيخيل إلينا أنه نجم سرى. والشهاب في اللغة: النار الساطعة<sup>(٢)</sup>.

وذكر أبو داود<sup>(٣)</sup>، عن عامر الشعبي قال: لما بعث النبي ﷺ رُجِمَت الشياطين بنجوم لم تكن تُرجم بها قبل، فأتوا عبد ياليل بن عمرو الثقفي، فقالوا: إن الناس قد فرعوا، وقد أعتقوا رقيقهم، وسيبوا أنعامهم؛ لما رأو في<sup>(٤)</sup> النجوم. فقال لهم، وكان رجلاً أعمى: لا تعجلوا، وانظروا، فإن كانت النجوم التي تُعرف فهو<sup>(٥)</sup> عند فناء الناس، وإن كانت لا تُعرف فهو من حديث، فنظروا؛ فإذا هي نجوم لا تُعرف، فقالوا: هذا من حديث، فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشَ وَمَنْ أَسْتَمْتُمْ لِمُ بَرَزَقِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ هذا من نعيمه أيضاً، ومما يدل على كمال قدرته. قال ابن عباس: بسطناها على وجه الماء<sup>(٦)</sup>؛ كما قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/٣٥٤ - ٣٥٥.

(٢) اللسان (شهب).

(٣) ليس عند أبي داود، إنما ذكره ابن عبد البر في الدرر ص ١٦ - ١٧، عن أبي داود، وقد نقله المصنف عنه.

(٤) في (ظ): ما في.

(٥) في (د) و(ز) و(م): فهي (في الموضعين)، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في الدرر.

(٦) تفسير الرازي ١٩/١٧٠.

[النازعات: ٣٠] أي: بَسَطَهَا. وقال: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْتَهَا فَنَعَمَ الْمَهْدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]. وهو يردُّ على مَنْ زعم أنها كالكرة. وقد تقدّم<sup>(١)</sup>. ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُسُومًا﴾: جبلاً ثابتة؛ لثلاثاً تتحرك بأهلها. ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونًا﴾ أي: مقدر معلوم؛ قاله ابن عباس وسعيد بن جبير. وإنما قال: «موزون»؛ لأنَّ الوزن يُعرَف به مقدارُ الشيء. قال الشاعر:

قد كنتُ قبلَ لقاءكم ذا مِرَّةٍ عندي لكلِّ مُخاصِمٍ مِيزَانُهُ<sup>(٢)</sup>  
وقال قتادة: موزونٌ يعني: مقسوم. وقال مجاهدٌ: موزونٌ: معدودٌ<sup>(٣)</sup>. ويقال:  
هذا كلامٌ موزونٌ، أي: منظومٌ غيرٌ متشر<sup>(٤)</sup>.

فعلى هذا؛ أي: أنبتنا في الأرض ما يُوزَن من الجواهرِ والحيواناتِ والمعادنِ. وقد قال الله عزَّ وجلَّ في الحيوان: ﴿وَأَنْبَتْنَا بَنَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، والمقصودُ من الإنباتِ الإنشاءُ والإيجادُ. وقيل: ﴿أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ أي: في الجبالِ ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونًا﴾ من الذهبِ والفضةِ والنحاسِ والرصاصِ والقزدير<sup>(٥)</sup>، حتى الزرنيخِ والكحلِ، كلُّ ذلك يُوزَن وزناً؛ رُوي معناه عن الحسن، وابن زيد. وقيل: أنبتنا في الأرض الثمارَ مما يُكال ويُوزَن. وقيل: ما يُوزَن فيه الأثمانُ؛ لأنَّه أجلُّ قدرًا، وأعمُّ

(١) ص ٨ من هذا الجزء، وما ذكر عن الأرض أنها كالكرة لم يعد بحاجة إلى ردِّ.

(٢) أورده الطبري في التفسير ٥٩٤/٢٤، والفراء في معاني القرآن ٢٨٧/٣، والماوردي في النكت والعيون ١٥٤/٣، وابن منظور في اللسان (وزن) دون نسبة. والمعنى كما قال الفراء: عندي وزن كلامه ونقضه.

(٣) النكت والعيون ١٥٣/٣ - ١٥٤. وأخرج عبد الرزاق في التفسير ٣٤٦/١، والطبري في التفسير ٣٦/١٤، عن قتادة في قوله تعالى ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونًا﴾ قال: معلوم.

وكذلك قول مجاهد في تفسيره ٣٤٠/١، وفيه: مقدر مقدور، وأخرجه الطبري في تفسيره ٣٦/١٤ بلفظ: مقدور بقدر، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٣٩١/٤.

(٤) في النسخ الخطية: متشر، وهما بمعنى.

(٥) هو القصدير، المعدن المعروف.

نفعاً مما لا ثمن له<sup>(١)</sup>.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً﴾ يعني: المطاعم والمشارب التي يعيشون بها؛ واحداً معيشة؛ بسكون الياء. ومنه قول جرير:

تُكَلِّفُنِي مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِي بِالْمَرْقُوقِ وَالصَّنَابِ<sup>(٢)</sup>

والأصل: مَعِيشَةٌ؛ على مَفْعَلَةٍ؛ بتحريك الياء. وقد تقدّم في الأعراف<sup>(٣)</sup>. وقيل: إنَّها الملابس؛ قاله الحسن. وقيل: إنها التصرف في أسباب الرزق مدة الحياة. قال الماوردي<sup>(٤)</sup>: وهو الظاهر.

﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ﴾ يريد الدوابَّ والأنعام؛ قاله مجاهد<sup>(٥)</sup>. وعنده<sup>(٦)</sup> أيضاً: هم العبيد والأولاد الذين قال الله فيهم: ﴿تَحْنُ نَزْفُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]. ولفظ «من» يجوز أن يتناول العبيد والدوابَّ إذا اجتمعوا؛ لأنه إذا اجتمع من يعقل وما لا يعقل؛ غلب من يعقل، أي: جعلنا لكم فيها معاش وعبيداً وإماءً ودوابَّ وأولاداً نرزقهم ولا ترزقونهم. ف«من» على هذا التأويل في موضع نصب؛ قال معناه مجاهد وغيره. وقيل: أراد به الوحش. قال سعيد: قرأ علينا منصور: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ﴾ قال: الوحش. ف«من» على هذا تكون إما لا يعقل؛ مثل ﴿فَيَنْتَهِى مَنْ يَنْتَهِى عَنِ بَطْنِهِ﴾

(١) ينظر تفسير الطبري ٣٦/١٤ - ٣٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٧٦/٣ ، والنكت والعيون ١٥٤/٣ ، والوسيط ٤٢/٣ ، وزاد المسير ٣٩١/٤ .

(٢) البيت في تذييل ديوانه ٨١٢/٢ ، وطبقات فحول الشعراء ٣٩١/٢ - ٣٩٢ ، والكامل للمبرد ٢٠٢/١ - ٢٠٣ ، ووقع في تذييل الديوان: «بالصلائق» بدل «بالمرقوق»، والصلائق جمع صليقة، وهي الخيزة الرقيقة، والقطعة المشواة من اللحم، كما في اللسان (صلق). والصناب: صباغ يتخذ من الخردل والزبيب. اللسان (صنب). وزيد هو رجل من أهل اليمامة يُعرف بابن النجار. قاله ابن سلام في الطبقات.

(٣) ١٦٠/٩ .

(٤) في النكت والعيون ١٥٤/٣ .

(٥) في تفسيره ٣٤٠/١ .

(٦) في (ظ): وعنه. ولم تقف عليه عنده، وعزاه الماوردي في النكت والعيون ١٥٤/٣ إلى ابن بحر.

الآية [النور: ٤٥]، وهي في محلّ خفضٍ عطفاً على الكافِ والميمِ في قوله: «لكم». وفيه قبْحٌ عند البصريين؛ فإنه لا يجوز عندهم عطفُ الظاهرِ على المضمَرِ إلا بإعادة حرفِ الجرِّ؛ مثل: مررتُ به وبزيد. ولا يجوزُ: مررتُ به وزيدُ إلا في الشعرِ<sup>(١)</sup>. كما قال:

فاليومَ قَرَّبْتَ<sup>(٢)</sup> تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بَكَ وَالْأَيَامِ مِنْ عَجَبٍ<sup>(٣)</sup>  
وقد مضى هذا المعنى في «البقرة» وسورة النساء<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ أي: وإن من شيءٍ من أرزاقِ الخلقِ ومنافعِهِم إلا عندنا خزائنه؛ يعني: المطرُ المنزَّلُ من السماء؛ لأنَّ به نباتُ كلِّ شيءٍ. قال الحسنُ: المطرُ خزائنُ كلِّ شيءٍ. وقيل: الخزائنُ: المفاتيحُ، أي: في السماءِ مفاتيحُ الأرزاقِ؛ قاله الكلبيُّ. والمعنى واحدٌ<sup>(٥)</sup>.

﴿وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ أي: ولكن لا ننزله إلا على حسبِ مشيئتنا، وعلى حسب حاجةِ الخلقِ إليه؛ كما قال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧]. وروى عن ابنِ مسعود، والحكم بنِ عُتَيْبَةَ وغيرهما أنَّه ليس عامٌ أكثرَ مطراً من عام، ولكنَّ الله يُقسِّمه كيف شاء، فيُمطرُ قومٌ ويُحرَمُ

(١) الطبري ٣٧/١٤ - ٣٩، والمحرر الوجيز ٣/٣٥٥، وزاد المسير ٤/٣٩١ - ٣٩٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٣٧٨، ومعاني القرآن للفراء ٢/٨٦، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٧٧.

(٢) في (ظ): أقبلت.

(٣) أورده سيبويه في الكتاب ٢/٣٨٣، والمبرد في الكامل ٢/٩٣١، دون نسبة. وقال البغدادي في خزنة الأدب ٥/١٢٣: على أن حرف الجر قد يترك ضرورة عند البصريين، أي: ما بك وبالأيام عجب. ومعنى قربت: جعلت وأخذت.

وقال أيضاً ٥/١٢٩: والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل.

(٤) ٧/٦.

(٥) النكت والعيون ٣/١٥٥.

آخرون. وربما كان المطرُ في البحارِ والقِفَارِ<sup>(١)</sup>.

والخزائنُ جمعُ الخزانةِ، وهو الموضعُ الذي يَسْتُرُ فيه الإنسانُ ما له. والخزانةُ أيضاً مصدرُ خَزَنَ يَخْزُنُ<sup>(٢)</sup>. وما كان في خِزانةِ الإنسانِ كان مُعَدًّا له، فكذلك ما يُقَدَّرُ عليه الربُّ؛ فكأنه مُعَدُّ عنده؛ قاله القشيري.

وروى جعفرُ بنُ محمد، عن أبيه، عن جده، أنه قال: في العرشِ مثالُ كلِّ شيءٍ خلقه الله في البرِّ والبحرِ. وهو تأويلُ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾<sup>(٣)</sup>. والإنزالُ بمعنى الإنشاءِ والإيجاد، كقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ قَنِينَةً أَرْزَاقًا﴾ [الزمر: ٦]، وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. وقيل: الإنزالُ بمعنى الإعطاء، وسماه إنزالاً؛ لأنَّ أحكامَ الله إنما تنزلُ من السماء.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُمْ بِخَازِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ﴾ قراءةُ العامة: «الرياح» بالجمع. وقرأ حمزةٌ بالتوحيد<sup>(٥)</sup>؛ لأنَّ معنى الريحِ الجمعُ أيضاً وإن كان لفظُها لفظُ الواحد، كما يُقال: جاءتِ الريحُ من كلِّ جانبٍ<sup>(٥)</sup>، كما يقال: أرضٌ سَبَابِسِبُ<sup>(٦)</sup> وثوبٌ أخلاقٌ. وكذلك تفعلُ العربُ في كلِّ شيءٍ اتسع. وأما وجهُ قراءةِ العامة، فلأنَّ الله تعالى نعتها

(١) تفسير الطبري ٣٩/١٤ - ٤٠، والنكت والعيون ٣/١٥٥، وزاد المسير ٤/٣٩٢.

(٢) ينظر اللسان (خزن).

(٣) تفسير البغوي ٣/٤٧.

(٤) التيسير ص ٧٨، والسبعة ١٧٢ - ١٧٣.

(٥) حجة القراءات لابن زنجلة ص ٣٨٢، وتفسير الطبري ٤١/١٤.

(٦) السبب: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة. القاموس المحيط (سبب). وينظر تفسير الطبري

بـ «لواقح» وهي جمع. ومعنى لواقح: حوامل؛ لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع<sup>(١)</sup>. قال الأزهري<sup>(٢)</sup>: وجعلَ الرِّيحَ لاقِحاً؛ لأنها تحملُ السحابَ؛ أي: تُقَلِّه وتُصَرِّفه ثم تَمْرِيه<sup>(٣)</sup> فتستدِرُّه، أي: تُنزله؛ قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا﴾ [الأعراف: ٥٧] أي: حملت. وناقَةٌ لاقح، ونووقٌ لواقح: إذا حملت الأجنَّة في بطونها. وقيل: لواقحُ بمعنى مُلقِحة، وهو الأصل، ولكنها لا تُلقح إلا وهي في نفسها لاقح، كأنَّ الرِّياحَ لَقِحت بخير. وقيل: ذوات لَقَح، وكلُّ ذلك صحيح، أي: منها ما يُلقح الشجر؛ كقولهم: عيشة راضية، أي: فيها رضاء، وليل نائم، أي: فيه نوم. ومنها ما تأتي بالسحاب. يقال: لَقِحتِ الناقَةُ، بالكسر، لَقِحاً ولَقاحاً، بالفتح، بالفتح، فهي لاقح. وألقحها الفحل، أي: ألقى إليها الماء فحملته<sup>(٤)</sup>، فالرياحُ كالفحلِ للسحاب.

قال الجوهري<sup>(٥)</sup>: ورياحُ لَواقِحُ، ولا يقال: مَلاقِح، وهو من النوادر. وحكى المهدويُّ عن أبي عبيدة<sup>(٦)</sup>: لَواقِحُ بمعنى ملاقح، ذهبَ إلى أنَّه جمع مُلقِحة ومُلقِح، ثم حُذِفَت زوائده<sup>(٧)</sup>. وقيل: هو جمعُ لاقِحةٍ ولاقِح، على معنى ذاتِ اللِّقاح؛ على النَّسَب<sup>(٨)</sup>. ويجوزُ أن يكونَ معنى لاقح حاملاً، والعربُ تقولُ لِلجَنوبِ: لاقح وحامل، وللشَّمالِ: حائل وعقيم.

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/٣٥٦.

(٢) تهذيب اللغة ٤/٥٥ - ٥٦.

(٣) مرَّت الرِّيحُ السحاب إذا أنزلت منه المطر. اللسان (مري).

(٤) في تفسير الرازي ١٩/١٧٥. (والكلام فيه بنحوه): ألقى الماء فيها فحملت.

(٥) في الصحاح (لقح).

(٦) في مجاز القرآن ١/٣٤٨.

(٧) الوسيط للواحد ٣/٤٢.

(٨) أي: النسب بغير ياء قال رضي الدين الاسترأبادي في شرح شافية ابن الحاجب ٢/٨٤: يجيء بعض ما هو

على فَعَالٍ وفاعل بمعنى ذي كذا من غير أن يكون اسم فاعل أو مبالغة فيه. وينظر الدر المصون ٧/١٥٤.

وقال عبيد بن عمير: يرسلُ الله المُبَشِّرَةَ فَتَقُمُّ الأَرْضَ قَمًا، ثم يرسل المُثِيرَةَ فتثيرُ السحاب، ثم يرسلُ المُؤَلِّفَةَ فتؤلفُه، ثم يبعثُ اللواقحَ فتلقحُ الشجرَ. وقيل: الريحُ الملاقحُ التي تحملُ الندى فتمجُّه في السحابِ، فإذا اجتمعَ فيه صار مطراً<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الريحُ الجنوبُ من الجنة، وهي الريحُ اللواقحُ التي ذكرها اللهُ في كتابه، وفيها منافعُ للناسِ»<sup>(٢)</sup>.

وروي عنه عليه الصلاة والسلامُ أنه قال: «ما هبَّتْ جنوبٌ إلا أنبعَ اللهُ بها عيناً عَدَّةً»<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو بكر بنُ عيَّاش: لا تقطرُ قطرةٌ من السَّحابِ إلا بعدَ أن تعملَ الرياحُ الأربعُ فيها، فالصَّبا تُهيِّجُه، والدَّبُّورُ تُلقِعه، والجنوبُ تُدرُّه، والشَّمالُ تُفرِّقه<sup>(٤)</sup>.

الثانية: روى ابنُ وهب وابنُ القاسم وأشهبُ وابنُ عبد الحكيم عن مالكٍ - واللفظُ لأشهبٍ - قال مالكٌ: قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾، فلقاحُ القمحِ عندي أن يُحبَّبَ ويُسنَّبِلَ، ولا أدري ما يبيِّسُ في أكمامه، ولكن يُحبَّبُ حتى يكونَ لو يبيسُ حينئذٍ لم يكن فساداً لا خيرَ فيه<sup>(٥)</sup>. ولقاحُ الشجرِ كُلُّها أن تُثمرَ، ثم يسقط منها ما يسقط، ويثبت ما يثبت، وليس ذلك بأن تُورِّد.

قال ابنُ العربي<sup>(٦)</sup>: إنَّما عوَّلَ مالكٌ في هذا التفسيرِ على تشبيهِ لقاحِ الشجرِ بلقاحِ

(١) أخرجه الطبري ٤٥/١٤ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٦/١٤ ، وضعَّف ابن كثير إسناده .

(٣) ذكره البغوي في التفسير ٤٧/٣ ، والماوردي في النكت والعيون ١٥٥/٣ ، وقال الشافعي في الأم ٢٢٥/١ ، ومن طريقه البيهقي في الكبرى ٣/٣٦٤ : وبلغني أن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: ما هبت جنوب قط إلا أسالت وادياً.

(٤) تفسير الطبري ٤٥/١٤ - ٤٦ ، والبغوي ٤٧/٣ ، والنكت والعيون ١٥٥/٣ ، والمحرم الوجيز ٣/٣٥٦ - ٣٥٧ ، وزاد المسير ٤/٣٩٣ - ٣٩٤ . وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١١١٤ .

(٥) في (م): فساد الأخير فيه.

(٦) في أحكام القرآن ٣/١١١٤ ، والكلام منه من أول المسألة الثانية.

الحَمْلُ، وأنَّ الولدَ إذا عَقَدَ وَخُلِقَ وَنُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ، كانَ بِمَنْزِلَةِ تَحْبُّبِ الثَّمْرِ وَتَسْنِيبِهِ؛ لِأَنَّهُ سُمِّيَ بِاسْمِ تَشْتَرِكٍ فِيهِ كُلُّ حَامِلَةٍ، وَهُوَ اللَّقَاحُ، وَعَلَيْهِ جَاءَ الْحَدِيثُ: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَيْعِ الْحَبِّ حَتَّى يَشْتَدَّ<sup>(١)</sup>.

قال ابنُ عبدِ البرِّ<sup>(٢)</sup>: الإِبَارُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي النَّخْلِ: التَّلْقِيحُ، وَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ شَيْءٌ مِنْ طَلْعِ<sup>(٣)</sup> النَّخْلِ، فَيُدْخَلَ بَيْنَ ظَهْرَانِي طَلْعِ الْإِنَاثِ. وَمَعْنَى ذَلِكَ فِي سَائِرِ الثَّمَارِ ظُهُورُ<sup>(٤)</sup> الثَّمَرَةِ مِنَ التَّيْنِ وَغَيْرِهِ حَتَّى تَكُونَ الثَّمَرَةُ مَرْتِيَةً مَنْظُوراً إِلَيْهَا. وَالْمَعْتَبَرُ عِنْدَ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ فِيمَا يُذَكَّرُ مِنَ الثَّمَارِ التَّذْكِيرُ، وَفِيمَا لَا يُذَكَّرُ أَنْ يَثْبِتَ مِنْ نُوَارِهِ مَا يَثْبِتُ، وَيَسْقُطُ مَا يَسْقُطُ. وَحَدُّ ذَلِكَ فِي الزَّرْعِ ظُهُورُهُ مِنَ الْأَرْضِ؛ قَالَه مَالِكٌ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنْ إِبَارَهُ أَنْ يُحَبِّبَ. وَلَمْ يَخْتَلَفِ الْعُلَمَاءُ أَنْ الْحَائِظَ إِذَا انشَقَّ طَلْعُ إِنْأَيْهِ، فَأَخْرَجَ إِبَارَهُ؛ وَقَدْ أُبْرَ غَيْرُهُ مِمَّنْ حَالُهُ مِثْلُ حَالِهِ؛ أَنَّ حَكَمَهُ حُكْمُ مَا أُبْرَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ عَلَيْهِ وَقْتُ الْإِبَارِ وَثَمَرَتُهُ ظَاهِرَةٌ بَعْدَ تَغْيِيبِهَا فِي الْجُفِّ<sup>(٥)</sup>. فَإِنْ أُبْرَ بَعْضُ الْحَائِظِ، كَانَ مَا لَمْ يُؤْبَرِ تَبَعاً لَهُ، كَمَا أَنَّ الْحَائِظَ إِذَا بَدَأَ صِلَاحُهُ، كَانَ سَائِرُ الْحَائِظِ تَبَعاً لِذَلِكَ الصِّلَاحِ فِي جَوَازِ بَيْعِهِ.

الثالثة: روى الأئمةُ كلُّهم عن ابنِ عمرَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ ابْتاعَ نَخْلاً بَعْدَ أَنْ تُؤْبَرَ؛ فَثَمَرَتُهَا لِلَّذِي بَاعَهَا إِلَّا أَنْ يَشْتَرِطَ الْمَبْتَاعُ. وَمَنْ ابْتاعَ عَبْدًا؛ فَمَالُهُ لِلَّذِي بَاعَهُ إِلَّا أَنْ يَشْتَرِطَهُ الْمَبْتَاعُ»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٧١)، والترمذي (١٢٢٨)، وابن ماجه (٢٢١٧)، وأحمد (١٣٣١٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) في التمهيد ٢٩١/١٣.

(٣) بعدها في (م): ذكور.

(٤) في (د) و(ز) و(م): طلوع، والمثبت من (ظ) وهو الموافق لما في التمهيد ٢٩١/١٣.

(٥) في (د) و(ز) و(م): الحب، والمثبت من (ظ) وهو الموافق لما في التمهيد ٢٩١/١٣، والجُفِّ: وعاء الطلع. القاموس (جفف).

(٦) أخرجه البخاري (٢٣٧٩)، ومسلم (١٥٤٣) (٨٠)، وأبو داود (٣٤٣٣)، والترمذي (١٢٤٤)، والنسائي في المجتبى ٢٩٧/٧، وفي الكبرى (٤٩٩١)، وابن ماجه (٢٢١١)، وأحمد (٤٥٥٢).

قال علماؤنا: إنما لم يدخل الثمر المؤبر مع الأصول في البيع إلا بالشرط؛ لأنه عين موجودة يحاط بها، أمّن سقوطها غالباً، بخلاف التي لم تؤبر؛ إذ ليس سقوطها مأموناً، فلم يتحقق لها وجود، فلم يجز للبائع اشتراطها، ولا استثناءها؛ لأنها كالجنين، وهذا هو المشهور من مذهب مالك. وقيل: يجوز استثناءها، وهو قول الشافعي.

الرابعة: لو اشترى النخل وبقي الثمر للبائع؛ جاز لمشتري الأصل شراء الثمرة قبل طيبها على مشهور قول مالك، ويرى لها حكم التبعية، وإن أفردت بالعقد. وعنه في رواية: لا يجوز، وبذلك قال الشافعي وأبو حنيفة، والثوري وأهل الظاهر، وفقهاء الحديث، وهو الأظهر من أحاديث النهي عن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها<sup>(١)</sup>.

الخامسة: ومما يتعلق بهذا الباب النهي عن بيع الملاقح، والملاقح: الفحول من الإبل، الواحد مُلقح. والملاقح أيضاً: الإناث التي في بطونها أولادها، الواحدة مُلقحة بفتح القاف. والملاقح: ما في بطون النوق من الأجنة، الواحدة مُلقحة، من قولهم: لُقحت، كالمحموم من حُم، والمجنون من جُنَّ<sup>(٢)</sup>. وفي هذا جاء النهي. وقد روي عن النبي ﷺ: أنه نهى عن المجر<sup>(٣)</sup>، وهو بيع ما في بطون الإناث، ونهى عن المضامين والملاقح<sup>(٤)</sup>. قال أبو عبيد: المضامين: ما في البطون، وهي الأجنة. والملاقح: ما في أصلاب الفحول. وهو قول سعيد بن المسيب وغيره. وقيل بالعكس: إن المضامين ما في ظهور الجمال، والملاقح ما في بطون الإناث. وهو قول ابن حبيب وغيره. وأبيّ الأمرين كان، فعلماء المسلمين مجمعون على أن ذلك لا يجوز. وذكر المُرزني عن ابن هشام شاهداً بأن الملاقح ما في البطون لبعض

(١) المفهم ٤/٣٩٩.

(٢) الصحاح (لقح).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٤٤٤٠)، والبيهقي ٥/٣٤١، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البزار (١٢٦٨ - كشف الأستار)، والطبراني (١١٥٨١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الأعراب:

مَنْيْتَنِي<sup>(١)</sup> مَلَاقِحًا فِي الْأَبْطُنِ تُنْتَجِجُ مَا تَلْقَحُ بَعْدَ أَزْمَنِ

وذكر الجوهري<sup>(٢)</sup> على ذلك شاهداً قولَ الراجز:

إِنَّا وَجَدْنَا طَرْدَ الْهَوَامِلِ خَيْرًا مِنَ التَّانَانِ وَالْمَسَائِلِ

وَعِدَّةُ الْعَامِ وَعَامِ قَابِلِ مَلْقُوْحَةٌ فِي بَطْنِ نَابٍ حَامِلِ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من السَّحَابِ. وكلُّ ما علاك فأظلك يُسمَّى

سماء. وقيل: من جهة السَّمَاءِ. ﴿مَاءٌ﴾ أي: قَطْرًا. ﴿فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ﴾ أي: جعلنا ذلك

المطرَ لسُقْيَاكُمْ ولشُرْبِ مواشِيكُمْ وأَرْضِيكُمْ. وقيل: سَقَى وأسقى بمعنَى. وقيل:

بالفرق، وقد تقدَّم<sup>(٤)</sup>.

﴿وَمَا أَنْشَرْنَا لَهُمْ بَحْرَيْنِ﴾ أي: ليست خَزَائِنُهُ عندكم، أي: نحنُ الخازنون لهذا

الماءِ نُنْزَلُهُ إِذَا شِئْنَا، وَنُمْسِكُهُ إِذَا شِئْنَا. ومثله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾

[الفرقان: ٤٨]، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾

[المؤمنون: ١٨]. وقال سفيان: لستم بمانعين المطر<sup>(٥)</sup>.

(١) في (م) واللسان (لحق): منيتي، والمثبت من النسخ الخطية، والتمهيد لابن عبد البر ٣١٥/١٣، وعنه

نقل المصنف، وتهذيب اللغة ٥٣/٤، واللسان (لحق). ووقع في التمهيد «شهاب» بدل «هشام»، وقد

جاء مصرحاً به في التهذيب واللسان وهو: عبد الملك بن هشام.

(٢) في الصحاح (لحق).

(٣) في تهذيب اللغة ٥٢/٤، والصحاح واللسان وأساس البلاغة (لحق): «حائل» بدل: «حامل»، وتُسبِبه

الزمخشري إلى مالك بن الربيع. والمعنى كما قال الحسن اليوسي في المحاضرات ٥٥١-٥٥٠/٢: إنَّ

سرقة الإبل الهوامل - أي: التي لا راعي معها - خير لنا من الأئين والتشكي وسؤال الناس، فهذا يردنا،

وهذا يُعِدُّنا بالعطاء في العام أو القابل جنيئاً في بطن أمه.

(٤) ١٣٥/٢.

(٥) تفسير الطبري ٤٦/١٤ - ٤٧، والنكت والعيون ١٥٥/٣ - ١٥٦، وتفسير البيهقي ٤٨/٣، وزاد

المسير ٣٩٤/٤ - ٣٩٥.

قوله تعالى: ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾

أي: مَنْ قَدَّرَ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَى الْإِمَاتَةِ ثُمَّ الْإِحْيَاءِ بَعْدَهَا ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾<sup>(١)</sup> أي: الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَلَا يَبْقَى شَيْءٌ سِوَانَا. نَظِيرُهُ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]. فَمُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنْ مَلَكَ عِبَادِهِ أَمْلَاكًا، فَإِذَا مَاتُوا، انْقَطَعَتِ الدَّعَاوَى، فَكَانَ اللَّهُ وَارِثًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ<sup>(٢)</sup>. وَقِيلَ: الْإِحْيَاءُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِحْيَاءُ النَّطْفَةِ فِي الْأَرْحَامِ، فَأَمَّا الْبَعْثُ، فَقَدْ ذَكَرَهُ بَعْدَ هَذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ فيه ثمان

تأويلات:

الأول: «المستقدمين»: في الخلق إلى اليوم، و«المستأخرين»: الذين لم يُخْلَقُوا بَعْدَ؛ قَالَ قَتَادَةُ وَعُكْرَمَةُ وَغَيْرُهُمَا.

الثاني: «المستقدمين»: الأموات، و«المستأخرين»: الأحياء؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ.

الثالث: «المستقدمين»: مَنْ تَقَدَّمَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ، و«المستأخرين»: أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ قَالَ مَجَاهِدٌ.

الرابع: «المستقدمين»: فِي الطَّاعَةِ وَالْخَيْرِ، و«المستأخرين»: فِي الْمَعْصِيَةِ وَالشَّرِّ؛ قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ أَيْضًا.

الخامس: «المستقدمين» فِي صُفُوفِ الْحَرْبِ، و«المستأخرين» فِيهَا؛ قَالَ سَعِيدُ ابْنِ الْمُسَيْبِ.

(١) قوله: أي: مَنْ قَدَّرَ إِلَى هَذَا هُنَا لَيْسَ فِي (د) وَ(ز) وَ(م).

(٢) يَنْظُرُ تَفْسِيرَ الْوَسِيطِ لِلْوَاحِدِيِّ ٤٢/٣ - ٤٣ • وَتَفْسِيرَ الْبَغْوِيِّ ٤٨/٣، وَتَفْسِيرَ الرَّازِيِّ ١٧٧/١٩.

السادس: «المستقدمين»: مَنْ قُتِلَ فِي الْجِهَادِ، و«المستأخرين»: مَنْ لَمْ يُقْتَلْ؛  
قاله القُرْطُبِيُّ.

السابع: «المستقدمين»: أَوَّلُ الْخَلْقِ، و«المستأخرين»: آخِرُ الْخَلْقِ؛ قاله  
الشَّعْبِيُّ.

الثامن: «المستقدمين»: فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ، و«المستأخرين» فِيهَا بِسَبَبِ  
النِّسَاءِ<sup>(١)</sup>. وَكُلُّ هَذَا مَعْلُومٌ لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ عَالِمٌ بِكُلِّ مَوْجُودٍ وَمَعْدُومٍ، وَعَالِمٌ بِمَنْ  
خُلِقَ وَمَا هُوَ خَالِقُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. إِلَّا أَنَّ الْقَوْلَ الثَّامِنَ هُوَ سَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ؛ لَمَا  
رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ<sup>(٢)</sup> عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ تَصَلِّي  
خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَسَنَاءً مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَكَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يَكُونَ فِي  
الصَّفِّ الْأَوَّلِ؛ لِثَلَا يَرَاهَا، وَيَتَأَخَّرُ بَعْضُهُمْ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ، فَإِذَا رَكَعَ،  
نَظَرَ مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا  
الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾. وَرَوَى عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ وَلَمْ يُذَكِّرْ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَهُوَ أَصْحٌ.

الثانية: هَذَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ أَوَّلِ الْوَقْتِ فِي الصَّلَاةِ، وَعَلَى فَضْلِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ؛  
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ  
يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ؛ لَاسْتَهْمُوا»<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير الطبري ٤٨/١٤ - ٥٤، وتفسير مجاهد ٣٤١/١، وتفسير السمرقندي ٢١٧/٢ - ٢١٨،  
والنكت والعيون ١٥٦/٣ - ١٥٧، والوسيط ٤٣/٣، وزاد المسير ٣٩٦/٤ - ٣٩٧، وتفسير الرازي  
١٧٧/١٩ - ١٧٨. ونسب ابن الجوزي والرازي القول الخامس إلى الضحاك بدلاً من ابن المسيب.  
وعدَّ ابن العربي في أحكام القرآن ٣/١١١٥ خمسة أقوال فقط.

(٢) النسائي في المجتبى ١١٨/٢، وفي الكبرى (١١٢٧٣)، والتِّرْمِذِيُّ (٣١٢٢)، وابن ماجه (١٠٤٦)،  
وأحمد (٢٧٨٣). وأبو الجوزاء: هو أوس بن عبد الله الرَّبِيعِي.

وقال التِّرْمِذِيُّ: وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ سَلِيمَانَ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَمْرٍو بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ نَحْوَهُ، وَلَمْ  
يَذْكُرْ فِيهِ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَهَذَا أَشْبَهَ أَنْ يَكُونَ أَصْحٌ مِنْ حَدِيثِ نُوحٍ. وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ:  
حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا، وَفِيهِ نِكَارَةٌ شَدِيدَةٌ. ثُمَّ رَجَعَ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ أَبِي الْجَوْزَاءِ.

(٣) سلف ١٣٣/٥.

فإذا جاء الرجل عند الزوال، فنزل في الصف الأول مجاور الإمام؛ حاز ثلاث مراتب في الفضل: أول الوقت، والصف الأول، ومجاورة الإمام. فإن جاء عند الزوال، فنزل في الصف الآخر، أو فيما نزل عن الصف الأول؛ فقد حاز فضل أول الوقت، وفاته فضل الصف الأول والمجاورة. فإن جاء وقت الزوال، ونزل في الصف الأول دون ما يلي الإمام؛ فقد حاز فضل أول الوقت، وفضل الصف الأول، وفاته مجاورة الإمام. فإن جاء بعد الزوال، ونزل في الصف الأول؛ فقد فاته فضيلة أول الوقت، وحاز فضيلة الصف الأول، ومجاورة الإمام. وهكذا.

ومجاورة الإمام لا تكون لكل أحد، وإنما هي كما قال ﷺ: «لِيلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ»<sup>(١)</sup> الحديث. فما يلي الإمام ينبغي أن يكون لمن كانت هذه صفته، فإن نزلها غيره أخر، وتقدم هو إلى الموضع؛ لأنه حقه بأمر صاحب الشرع، كالمحراب هو موضع الإمام تقدم أو تأخر؛ قاله ابن العربي<sup>(٢)</sup>.

قلت: وعليه يحمل قول عمر ﷺ: «تَأَخَّرَ يَا فُلَانُ، تَقَدَّمَ يَا فُلَانُ». ثم يتقدم فيكبر<sup>(٣)</sup>. وقد روي عن كعب، أن الرجل من هذه الأمة ليختر ساجداً، فيغفر لمن خلفه. وكان كعب يتوحنى الصف المؤخر من المسجد رجاء ذلك، ويذكر أنه وجد كذلك في التوراة. ذكره الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول»<sup>(٤)</sup>. وسيأتي في سورة الصافات زيادة بيان لهذا الباب إن شاء الله تعالى.

الثالثة: وكما تدل هذه الآية على فضل الصف الأول في الصلاة، فكذلك تدل على فضل الصف الأول في القتال؛ فإن القيام في نحر العدو، وبيع العبد نفسه من الله تعالى لا يوازيه عمل، فالتقدم إليه أفضل، ولا خلاف فيه، ولا خفاء به. ولم يكن

(١) سلف ٤٨/٢ .

(٢) في أحكام القرآن ٣/١١١٥ - ١١١٦ .

(٣) أخرجه الطبري في التفسير ١٩/٦٥٣ .

(٤) نوادر الأصول ص ٢٩ ، الأصل العشرون.

أحدٌ يتقدّم في الحرب بين يدي رسول الله ﷺ؛ لأنّه كان أشجع الناس. قال البراء: كُنَّا - والله - إذا احمرَّ البأسُ نَتَقِي به، وإنَّ الشجاعَ مَنَّا للذي يُحاذي به. يعني النبي ﷺ (١).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: للحسابِ والجزاء. ﴿إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ تقدم (٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني: آدم عليه السلام. ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ أي: من طينِ يابسٍ؛ عن ابن عباس وغيره (٣). والصلصالُ: الطينُ الحرُّ خُلِطَ بالرمل، فصارَ يتصلصلُ إذا جَفَّ، فإذا طُبِخَ بالنار، فهو الفخار؛ عن أبي عبيدة (٤). وهو قولُ أكثرِ المفسرين (٥). وأنشد أهلُ اللغة:

كَعَدُوِ الْمُصَلِّصِلِ الْجَوَالِ (٦)

وقال مجاهد (٧): هو الطينُ المُنْتِنِ. واختاره الكسائي (٨). قال: وهو من قول العرب (٩): صَلَّ اللَّحْمُ وَأَصَلَ: إذا أنتن، مطبوخاً كان أو نيئاً، يَصِلُّ صُلُولاً. قال الحطّية:

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١١١٦، وقول البراء أخرجه مسلم (١٧٧٦) (٧٩).

(٢) ٤٢٩/١.

(٣) تفسير الطبري ١٤/ ٥٧ - ٥٨.

(٤) في مجاز القرآن ١/ ٣٥٠.

(٥) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ٥٧، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٨٨، والنكت والعيون ٣/ ١٥٧، والمحرر

الوجيز ٣/ ٣٥٨، وزاد المسير ٤/ ٣٩٧.

(٦) عجزُ بيتٍ للأعشى الكبير ميمون بن قيس، وصدرة: عنتريس تعدو إذا مسّها السوط. وهو في ديوانه

ص ٥٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٥٠ - ٣٥١، واللسان (صلل).

(٧) في تفسيره ١/ ٣٤١، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره ١٤/ ٥٨ - ٥٩.

(٨) معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٤، وتفسير البغوي ٣/ ٤٩.

(٩) الصحاح (صلل).

ذَاكَ فَتَى يَبْذُلُ ذَا قِيْدِهِ لَا يُفْسِدُ اللَّحْمَ لَدَيْهِ الصُّلُوْلُ<sup>(١)</sup>  
 وَطِيْنٌ صَلَالٌ وَمِضْلَالٌ، أَي: يُصَوْتُ إِذَا نَقَرْتَهُ، كَمَا يُصَوْتُ [الْفَخَّارُ] الْجَدِيْدُ<sup>(٢)</sup>.  
 فَكَانَ أَوَّلَ تَرَابًا، أَي: مُتَفَرِّقَ الْأَجْزَاءِ، ثُمَّ بُلٌّ فَصَارَ طِيْنًا، ثُمَّ تُرِكَ حَتَّى أَنْتَنَ، فَصَارَ  
 حَمًّا مَسْنُونًا، أَي: مُتَغَيَّرًا، ثُمَّ يَبْسُ فَصَارَ صَلْصَالًا؛ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ. وَقَدْ مَضَى  
 فِي «الْبَقْرَةِ» بَيَانُ هَذَا<sup>(٣)</sup>.

وَالْحَمَّا: الطِيْنُ الْأَسْوَدُ، وَكَذَلِكَ الْحَمَاءُ، بِالتَّسْكِيْنِ، تَقْوِيْلُ مِنْهُ: حَمَاتُ<sup>(٤)</sup> الْبَثْرِ  
 حَمًّا؛ بِالتَّسْكِيْنِ: إِذَا نَزَعْتَ حَمَاتُهَا. وَحَمَيْتِ الْبَثْرَ حَمًّا؛ بِالتَّحْرِيكِ: كَثُرَتْ حَمَاتُهَا.  
 وَأَحَمَاتُهَا إِحْمَاءٌ: أَلْقِيْتُ فِيهَا الْحَمَاءَ؛ عَنِ ابْنِ السَّكَيْتِ<sup>(٥)</sup>. وَقَالَ أَبُو عِيْبِدَةَ: الْحَمَاءُ،  
 بِسُكُونِ الْمِيْمِ، مِثْلُ الْكَمَاءِ. وَالْجَمْعُ حَمٌّ، مِثْلُ: تَمْرَةٌ وَتَمْرٌ. وَالْحَمَّا الْمَصْدَرُ، مِثْلُ:  
 الْهَلْعِ وَالْجَزْعِ، ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ<sup>(٦)</sup>.

و«الْمَسْنُونُ»: الْمَتَغَيَّرُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ التَّرَابُ الْمَبْتَلُ الْمُنْتَنُ، فَجُعِلَ  
 صَلْصَالًا كَالْفَخَّارِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ، قَالَا: الْمُنْتَنُ: الْمَتَغَيَّرُ<sup>(٧)</sup>؛ مِنْ قَوْلِهِمْ:  
 قَدْ أَسِنَ الْمَاءُ: إِذَا تَغَيَّرَ، وَمِنْهُ: «يَتَسَنَّه»، وَ«مَاءٌ غَيْرِ آسِينٍ». وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي قَيْسِ بْنِ  
 الْأَسْلَتِ<sup>(٨)</sup>:

(١) ديوانه ص ١٧٦، واللسان (صلل)، و صدره عند أبي حاتم السجستاني في فعلت وأفعلت ص ١٢٠: هو  
 الفتى كل الفتى فاعلموا.

(٢) في النسخ: الحديد، والمثبت من الصحاح وما بين حاصرتين منه، ووقع في اللسان (صلل): الخذف،  
 بدل: الفخار.

(٣) ٤١٨/١.

(٤) في (م): حمث.

(٥) الصحاح (حما)، وكلام ابن السكيت في إصلاح المنطق ص ٢٥٥.

(٦) مجاز القرآن ٣٥١/١، والمحمر الوجيز ٣٥٩/٣، وزاد المسير ٣٩٧/٤، وتفسير الرازي ١٨٠/١٩.

(٧) تفسير الطبري ٦١/١٤ - ٦٢.

(٨) النكت والعيون ١٥٨/٣.

سَقَتْ صَدَاي رُضَاباً غَيْرَ ذِي أَسْنٍ كَالْمَسْكِ فُتَّ عَلَى مَاءِ الْعِنَاقِيدِ  
وقال الفراء: هو المتغير، وأصله من قولهم: سَنَنْتُ الحجرَ على الحجرِ: إذا  
حَكَّكَتَهُ به، وما يخرجُ من الحجرين يقال له: السنانة والسَّنين، ومنه المِسْنُ<sup>(١)</sup>. قال  
الشاعر:

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقَبَةِ الْحَمَى رَاءَ تَمْشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ  
أي: محكوك مُمَلَّس. حُكِيَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ قَالَ لِأَبِيهِ: أَلَا تَرَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ  
ابْنَ حَسَّانٍ يُشَبَّبُ بِابْتِكَ؟ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: وَمَا قَالَ؟ فَقَالَ: قَالَ:  
هِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةِ الْعَرْوِ اصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونٍ  
فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: صَدَقَ! فَقَالَ يَزِيدُ: إِنَّهُ يَقُولُ:

وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونَ<sup>(٢)</sup>  
فَقَالَ: صَدَقَ! فَقَالَ: أَيْنَ قَوْلُهُ: ثُمَّ خَاصَرْتُهَا...؟ الْبَيْتِ. فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: كَذَبَ.  
وقال أبو عبيدة<sup>(٣)</sup>: الْمَسْنُونُ: الْمَصْبُوبُ. وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: سَنَنْتُ الْمَاءَ  
وغيره على الوجه، إِذَا صَبَبْتَهُ. وَالسَّنُّ: الصَّبُّ<sup>(٤)</sup>.

وروى عليُّ بن أبي طلحة، عن ابنِ عباس قال: الْمَسْنُونُ: الرَّطْبُ<sup>(٥)</sup>. وهذا

(١) معاني القرآن ٨٨/٢. للفراء، دون قوله: السنانة، ولم ينقلها أحدٌ ممن نقل كلام الفراء هذا، وينظر تهذيب اللغة ٣٠١/١٢، واللسان (سنن).

(٢) اختلف في نسبة هذه الأبيات، فمنهم من نسبها إلى أبي ذؤيب الجمحي كما في الأغاني ١٢٣/٧-١٢٤، والكامل للمبرد ٣٨٧/١، ومنهم من نسبها إلى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كما في الأغاني ١٠٩/١٥-١١٠، والعقد الفريد ٣٢٢/٥-٣٢٣، والشعر والشعراء ٤٨٤/١-٤٨٥، والصحاح واللسان (سنن)، وقال المبرد في الكامل ٣٨٧/١: والذي كأنه إجماع أنه لعبد الرحمن بن حسان، وهو في بنت معاوية. وفي جميع المصادر: «القبة الخضراء» بدل «القبة الحمراء».

(٣) في مجاز القرآن ٣٥١/١.

(٤) ينظر الأفعال للسرقسطي ٥٠٢/٣، وتهذيب اللغة ٣٠١/١٢، وزاد المسير ٣٩٨/٤.

(٥) أخرجه الطبري في التفسير ٦٢/١٤، وينظر زاد المسير ٣٩٨/٤.

بمعنى المَصْبُوب؛ لأنه لا يكون مصبوباً إلا وهو رَطْبٌ. النَّحَاسُ<sup>(١)</sup>: وهذا قولٌ حسن؛ لأنه يُقال: سَنَنْتُ الشيءَ، أي: صَبَيْتُهُ. قاله<sup>(٢)</sup> أبو عمرو بنُ العلاء. ومنه الأثرُ المرويُّ عن ابن<sup>(٣)</sup> عمر أنه كان يَسُنُّ الماءَ على وجهه ولا يَسُنُّه. وَالشَّنُّ، بالشين: تفریقُ الماءِ، وبالشينِ المهملة: صبُّه من غيرِ تفریق.

وقال سيبويه: المَسْنُونُ: المَصْوَرُ. أُخِذَ مِنْ سُنَّةِ الْوَجْهِ، وهي<sup>(٤)</sup> صورته. وقال ذو الرِّمَّة:

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهِ غَيْرِ مُقْرِفَةٍ مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدْبٌ<sup>(٥)</sup>  
وقال الأَخْفَشُ<sup>(٦)</sup>: المَسْنُونُ: المَنْصُوبُ الْقَائِمُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: وَجْهُ مَسْنُونٌ: إِذَا كَانَ فِيهِ طَوْلٌ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الصَّلْصَالَ التَّرَابُ الْمَدَّقُ<sup>(٧)</sup>؛ حَكَاهُ الْمَهْدَوِيُّ. وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الصَّلْصَالَ هُوَ الْمَتْنُ، فَأَصْلُهُ صَلَّالٌ، فَأَبْدَلَ مِنْ إِحْدَى اللَّامِينَ الصَّادَ<sup>(٨)</sup>. «مِنْ حَمًا» مُفَسَّرٌ لَجَنَسِ الصَّلْصَالِ؛ كَقَوْلِكَ: أَخَذْتُ هَذَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ.

قوله تعالى: ﴿وَالْبَآنَ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْبَآنَ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: يَعْنِي:

(١) في معاني القرآن ٢٤/٤ - ٢٦ .

(٢) في النسخ: قال، والمثبت من النكت والعيون ١٥٨/٣ ، وزاد المسير ٣٩٨/٤ .

(٣) ليست في النسخ، والمثبت من مصنف ابن أبي شيبة ٦٧/١ ، والغريب للخطابي ٤٣٩/١ ، والنهية في غريب الحديث ٤١٣/٢ ، واللسان (سنن).

(٤) في (د) و(ز) و(م): وهو، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في الوسيط للواحد ٤٤/٣ ، وتفسير الرازي ١٨٠/١٩ .

(٥) ديوان ذي الرمة ٢٩/١ ، وقوله: غير مقرفة، أي: ليست بهجينة، وهي عتيقة كريمة. والندب: آثار الجراح. وينظر الصحاح (سنن).

(٦) نقله عنه السمرقندي في التفسير ٢١٨/٢ ، والماوردي في النكت والعيون ١٥٨/٣ .

(٧) في (ظ): المرقق.

(٨) معاني القرآن للنحاس ٢٤/٤ .

إِبْلِيسَ، خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَسُمِّيَ جَانًّا؛ لِتَوَارِيهِ عَنِ الْأَعْيُنِ. وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup> مِنْ حَدِيثِ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْجَنَّةِ، تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرَكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ، يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفٌ، عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتِمَالِكُ».

﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: نَارُ السَّمُومِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ مِنْهَا الْجَانَّ جِزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: السَّمُومُ الرِّيحُ الْحَارَّةُ الَّتِي تَقْتُلُ<sup>(٢)</sup>. وَعَنْهُ: أَنَّهَا نَارٌ لَا دُخَانَ لَهَا، وَالصَّوَاعِقُ تَكُونُ مِنْهَا، وَهِيَ نَارٌ تَكُونُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْحِجَابِ<sup>(٣)</sup>. فَإِذَا أَحْدَثَ اللَّهُ أَمْرًا اخْتَرَقَتِ الْحِجَابَ، فَهَوَّتِ الصَّاعِقَةُ إِلَى مَا أَمِرَتْ، فَالْهَدَّةُ الَّتِي تَسْمَعُونَ خَرَقَ ذَلِكَ الْحِجَابَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: نَارُ السَّمُومِ نَارٌ دُونَهَا حِجَابٌ، وَالَّذِي تَسْمَعُونَ مِنْ انْعِطَاطِ<sup>(٤)</sup> السَّحَابِ صَوْتُهَا. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا قَالَ: كَانَ إِبْلِيسُ مِنْ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُمْ: الْجِنُّ، خُلِقُوا مِنْ نَارِ السَّمُومِ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ. قَالَ: وَخُلِقَتِ الْجِنُّ الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ<sup>(٥)</sup>.

قُلْتُ: هَذَا فِيهِ نَظْرٌ؛ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى سِنْدٍ يَقْطَعُ الْعُذْرَ؛ إِذْ مِثْلُهُ لَا يُقَالُ مِنْ جِهَةِ الرَّأْيِ. وَقَدْ خَرَجَ مُسْلِمٌ<sup>(٦)</sup> مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». فَقَوْلُهُ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ» يَقْتَضِي الْعُمُومَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) برقم (٢٦١١)، وهو عند أحمد (١٢٥٣٩).

(٢) تفسير الطبري ١٤/٦٣ - ٦٤، وزاد المسير ٤/٤٠٠.

(٣) تفسير السمرقندي ٢/٢١٨.

(٤) في (د) و(ز) و(م): انعطاط، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في معاني القرآن للفراء ٢/٨٨، والانعطاط: الانشقاق. اللسان (عظط).

(٥) تفسير الطبري ١/٤٨٢ و ١٤/٦٤، وينظر النكت والعيون ٣/١٥٩، والوسيط ٣/٤٤ - ٤٥. وقال ابن كثير في تفسير الآية ٣٤ من سورة البقرة: هذا سياق غريب، وفيه أشباه فيها نظر يطول مناقشتها.

(٦) برقم (٢٩٩٦)، وهو عند أحمد (٢٥١٩٤).

وقال الجوهري: مارج من نار: نارٌ لا دخانَ لها خُلِقَ منها الجان<sup>(١)</sup>. والسَّمومُ: الرِّيحُ الحارَّةُ تُؤنَّثُ؛ يقال منه: سَمَّ يَوْمُنَا؛ فهو يَوْمٌ مسموم، والجمع سَمَائِمٌ. قال أبو عبيدة: السَّمومُ بالنهار، وقد تكونُ بالليل، والحُرورُ بالليل، وقد تكونُ بالنهار<sup>(٢)</sup>. القشيري: وسُمِّيتِ الرِّيحُ الحارَّةُ سَموماً؛ لدخولها في مَسَامِ البدن<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَجِيدِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ﴾ تقدّم في «البقرة»<sup>(٤)</sup>. ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ﴾: من طين. ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أي: سَوَّيْتُ خَلْقَهُ وَصَوَّرْتُهُ. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ النفخ: إجراء الرِّيحِ في الشيء. والرُّوحُ: جسمٌ لطيفٌ، أجرى الله العادة بأن يخلُقُ الحياةَ في البدن مع ذلك الجسم. وحقيقته إضافةُ خلقِ إلى خالق؛ فالروحُ خلقٌ من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً، كقوله: أرضي، وسماي، وبيتي، وناقة الله، وشهر الله. ومثله: ﴿رُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] وقد تقدّم في «النساء» مبيّناً<sup>(٥)</sup>. وذكرنا في كتاب «التذكرة»<sup>(٦)</sup> الأحاديث الواردة التي تدل على أنّ الروحَ جسمٌ لطيف، وأنّ النفسَ والروحَ اسمان لمسمّى واحد. وسيأتي ذلك إن شاء الله. ومن قال: إنّ الرُّوحَ هو الحياةُ قال: أراد: فإذا رُكِّبَتْ فيه الحياةُ ﴿فَقَعُوا لَهُم سَجِيدِينَ﴾ أي: خِرُوا له ساجدين. وهو سجودٌ تحيةً وتكريماً لا سجودٌ عبادة<sup>(٧)</sup>. ولله أن يُفضِّلَ مَنْ يريد، ففضِّلَ الأنبياءَ على الملائكة. وقد تقدّم في «البقرة» هذا المعنى<sup>(٨)</sup>. وقال القفال:

(١) الصحاح (مرج).

(٢) الصحاح (سم).

(٣) ينظر النكت والعيون ١٥٩/٣ .

(٤) ٣٩١/١ .

(٥) ٢٣١/٧ ، وينظر الوسيط ٤٥/٣ .

(٦) ص ١٢٤ .

(٧) تفسير الطبري ٦٥/١٤ ، ومعاني القرآن للفراء ٨٨/٢ .

(٨) ٤٣٥/١ .

كانوا أفضل من آدم، وامتحنهم بالسجود له تعريضاً لهم للشواب الجزيل. وهو مذهب المعتزلة. وقيل: أمروا بالسجود لله عند آدم، وكان آدم قيلة لهم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ فيه مسألان:

الأولى: لا شك أن إبليس كان مأموراً بالسجود؛ لقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وإنما منعه من ذلك الاستكبار والاستعظام؛ كما تقدم في «البقرة» بيانه<sup>(٢)</sup>. ثم قيل: كان من الملائكة، فهو استثناء من الجنس. وقال قوم: لم يكن من الملائكة، فهو استثناء منقطع. وقد مضى في «البقرة» هذا كله مستوفى<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عباس: الجان: أبو الجن، وليسوا شياطين. والشياطين: ولد إبليس، لا يموتون إلا مع إبليس. والجن يموتون، ومنهم المؤمن، ومنهم الكافر. فأدم أبو الإنس، والجان أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين. ذكره الماوردي<sup>(٤)</sup>. والذي تقدم في «البقرة» خلاف هذا، فتأمله هناك.

الثانية: الاستثناء من الجنس غير الجنس صحيح عند الشافعي، حتى لو قال: لفلان علي دينار إلا ثوباً، أو عشرة أثواب إلا قفيز حنطة، وما جانس ذلك؛ كان مقبولاً، ويسقط عنه من المبلغ قيمة الثوب والحنطة. ويستوي في ذلك المكيلا والموزونات والمقدرات. وقال مالك وأبو حنيفة: استثناء المكيل من الموزون، والموزون من المكيل جائز، حتى لو استثنى الدراهم من الحنطة، والحنطة من الدراهم قبل، فأما إذا استثنى المقومات من المكيلا أو الموزونات، والمكيلا

(١) ينظر تفسير الرازي ١٨٢/١٩.

(٢) ٤٤١/١.

(٣) ٤٣٨/١.

(٤) في النكت والعيون ١٥٨/٣.

من المقومات، مثل أن يقول: عليّ عشرة دنانير إلا ثوباً، أو عشرة أثواب إلا ديناراً، لا يصح الاستثناء، ويلزم المقر جميع المبلغ. وقال محمد بن الحسن: الاستثناء من غير الجنس لا يصح، ويلزم المقر جملة ما أقر به<sup>(١)</sup>. والدليل لقول الشافعي<sup>(٢)</sup> أن لفظ الاستثناء يستعمل في الجنس وغير الجنس، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا إِلَّا فِيلًا سَلَفًا سَلَفًا﴾ [الواقعة: ٢٥]، فاستثنى السلام من جملة اللغو، ومثله ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وإبليس ليس من جملة الملائكة؛ قال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]. وقال الشاعر:

وَيَلِدَةُ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسُ      إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَإِلَّا الْعَيْسُ<sup>(٣)</sup>

فاستثنى اليعافير وهي ذكور الأطباء، والعيس وهي الجمال البيض، من الأنيس؛ ومثله قول النابغة<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتْلِيَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٨﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتْلِيَ مَا لَكَ﴾ أي: ما المانع لك. ﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ أي: في ألا تكون.

﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ بين تكبره وحسده،

(١) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤٧١/١، ومختصر اختلاف العلماء ٤١٤/٤ - ٤١٥، والوسيط في المذهب ٣٥٤/٣ - ٣٥٥، وعقد الجواهر الثمينة ٧١٣/٢.

(٢) نهاية المحتاج ١٠٦/٥.

(٣) البيت لجران العود النميري، وهو في ديوانه ص ٩٧، وسلف ٦/٧.

(٤) يشير إلى قوله:

وقفت فيها أصيلاً أسائلها      عيت جواباً وما بالربع من أحد  
إلا الأواري لياً ما أبينها      والنوي كالحوض بالمظلومة الجلد  
والبيتان في ديوانه ص ٣٠، وسلفاً في موضعين ٤٦٠/١ و ٦/٧، واستشهد بهما على المسألة نفسها.

وأنه خيرٌ منه؛ إذ هو من نارٍ، والنارُ تأكلُ الطينَ<sup>(١)</sup>؛ كما تقدّم في «الأعراف» بيانه<sup>(٢)</sup>.  
**﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا﴾** أي: من السَّمَاوَاتِ، أو من جنةِ عَدْنِ، أو من جملةِ الملائكةِ<sup>(٣)</sup>.  
**﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾** أي: مرجومٌ بالشَّهْبِ. وقيل: ملعونٌ مشتوم<sup>(٤)</sup>. وقد تقدّم هذا كله مستوفى في «البقرة» و«الأعراف»<sup>(٥)</sup>. **﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾** أي: لعنتي، كما في سورة (ص) [آية: ٧٨].

قوله تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** **﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾**  
**﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾**

قوله تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** هذا السؤالُ من إبليسَ لم يكن عن ثقة<sup>(٦)</sup> منه بمنزله عند الله تعالى، وأنه أهلٌ أن يُجاب له دعاءٌ، ولكن سأل تأخيرَ عذابه زيادةً في بلائه، كفعل الأيس من السَّلامة. وأرادَ بسؤاله الإنظارَ إلى يومِ يبعثون، ألا يموت؛ لأنَّ يومَ البعثِ لا موتَ فيه، ولا بعده. قال الله تعالى: **﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾** يعني: من المؤجَّلين. **﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾** قال ابنُ عباس: أرادَ به النفخةَ الأولى، أي: حينَ تموتُ الخلائقُ. وقيل: الوقتُ المعلومُ الذي استأثرَ الله بعلمه، ويجهله إبليسُ، فيموتُ إبليسُ ثم يُبعثُ؛ قال الله تعالى: **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾** [الرحمن: ٢٦]. وفي كلامِ الله تعالى له قولان: أحدهما: كلَّمه على لسانِ رسول<sup>(٧)</sup>. الثاني: كلَّمه تغليظاً في الوعيد، لا على وجهِ التَّكْرِيمِ والتَّقْرِيبِ<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير الطبري ٦٦/١٤ - ٦٧.

(٢) ١٦٥/٩.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٣٦١.

(٤) في (د) و(ز) و(م): مشووم، والمثبت من (ظ) وهو الموافق لما في تفسير الطبري ٦٧/١٤، والمحرر الوجيز ٣/٣٦١.

(٥) ١٤١/١ و ١٧٣/٩ - ١٧٤، وينظر ٤٧٤/١ - ٤٧٥.

(٦) في (م) ثقته، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٣/١٥٩.

(٧) في (م) و(د): رسوله.

(٨) النكت والعيون ٣/١٥٩ - ١٦٠.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ تقدّم معنى الإغواء والزينة في «الأعراف»<sup>(١)</sup>. وتزيينه هنا يكون بوجهين: إمّا بفعل المعاصي، وإما بشغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطّاعة. ومعنى ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: لأضلّنهم عن طريق الهدى<sup>(٢)</sup>. وروى ابن لهيعة عبد الله، عن درّاج أبي السّمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ إبليس قال: يا ربّ، وعزّتك وجلالك لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسامهم»<sup>(٣)</sup>، فقال الربّ: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قرأ أهل المدينة وأهل الكوفة بفتح اللام، أي: الذين استخلصتهم وأخلصتهم. وقرأ الباقون بكسر اللام<sup>(٥)</sup>، أي: الذين أخلصوا لك العبادة من فساد أو رياء. حكى أبو ثمامة أنّ الحواريين سألوا عيسى عليه السلام عن المخلص<sup>(٦)</sup> لله، فقال: الذي يعمل، ولا يحبّ أن يحمده النّاس.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

قال عمر بن الخطاب: معناه: هذا صراطٌ يستقيمُ بصاحبه حتى يهجم به على الجنّة. الحسن: «عليّ» بمعنى: إليّ. مجاهدٌ والكسائي: هذا على الوعيد والتهديد؛

(١) ١٧٠/٩ و ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) النكت والعيون ٣/١٦٠ - ١٦١.

(٣) في (ظ): أجسادهم.

(٤) أخرجه أحمد (١١٢٣٧) و(١١٢٤٤) وأبو يعلى (١٣٩٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٦٥)، والبغوي في شرح السنة (١٢٩٣).

(٥) التيسير ص ١٢٨، والسبعة ص ٣٤٨.

(٦) في (د) و(ز) و(م): المخلصين، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٣/١٦١.

كقولك لمن تُهدّده: طريقُك عليّ ومَصيرُك إليّ. وكقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَالمِصَادِقِ﴾ [الفجر: ١٤] فكان معنى الكلام: هذا طريقُ مرجعِهِ إليّ، فأجازي كُلًّا بعملِهِ، يعني: طريقُ العبودية. وقيل: المعنى عليّ أن أدلّ على الصراطِ المستقيم بالبيانِ والبرهان. وقيل: بالتوفيقِ والهداية<sup>(١)</sup>.

وقرأ ابنُ سيرين وقتادة، والحسن وقيسُ بن عباد، وأبو رجاء وحُميد، ويعقوب: «هذا صِراطُ عليّ مستقيم» برفع «عليّ» وتنوينه<sup>(٢)</sup>، ومعناه: رفيعٌ مستقيم، أي: رفيعٌ في الدين والحق. وقيل: رفيعٌ أن يُنال، مستقيمٌ أن يُمال<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ ﴿١٦﴾﴾  
فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قال العلماء: يعني: على قلوبهم. وقال ابن عُيينة: أي: في أن يُلقِيهم في ذنبٍ يمنَعهم عفوي، ويضيقُهُ عليهم. وهؤلاء الذين هداهم الله، واجتباهم، واختارهم، واصطفاهم<sup>(٤)</sup>.

قلت: لعلّ قائلًا يقول: قد أخبر الله عن صفة<sup>(٥)</sup> آدمَ وحواءَ عليهما السلام بقوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: ٣٦]، وعن جملةٍ من أصحابِ نبيِّه بقوله: ﴿إِنَّمَا أَسْأَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥]، فالجوابُ ما ذُكر، وهو أنه ليس له سلطانٌ على قلوبهم، ولا موضع إيمانهم، ولا يُلقِيهم في ذنبٍ يؤوّل إلى عدمِ القبول، بل تُزيلُهُ التوبة، وتمحوهُ الأوبة. ولم يكن خروجُ آدمَ عقوبةً لما تناول، على

(١) النكت والعيون ١٦١/٣ .

(٢) تفسير الطبري ٧١/١٤ ، والنكت والعيون ١٦١/٣ ، والمححر الوجيز ٣٦٢/٣ ، وتفسير البغوي ٥١/٣ ، والمحاسب ٣/٢ . وقراءة يعقوب من العشرة . ينظر النشر ٣٠١/٢ .

(٣) النكت والعيون ١٦١/٣ .

(٤) تفسير البغوي ٥١/٣ ، وزاد المسير ٤٠٢/٤ .

(٥) في (ظ): صفيه .

ما تقدّم في «البقرة» بيانه<sup>(١)</sup>. وأمّا أصحابُ النبي ﷺ، فقد مضى القولُ عنهم في «آل عمران»<sup>(٢)</sup>. ثم إنَّ قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ يحتمل أن يكونَ خاصًّا فيمن حفظه الله، ويحتمل أن يكونَ في أكثرِ الأوقاتِ والأحوال، وقد يكونُ في تسلُّطه تفريجُ كربية، وإزالةُ غمة، كما فعل ببال، إذ أتاه يُهدِّيه كما يُهدِّي الصَّبِيَّ حتى نام<sup>(٣)</sup>، ونام النبي ﷺ وأصحابه، فلم يَسْتَيْقِظُوا حتى طلعتِ الشَّمْسُ، وفزعوا وقالوا: ما كفارةُ ما صَنَعْنَا بتفريطنا في صلاتِنَا؟ فقال لهم النبي ﷺ: «ليسَ في النومِ تفريطٌ»، ففُرِّجَ عنهم<sup>(٤)</sup>.

﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ أي: الضَّالِّينَ المشركين<sup>(٥)</sup>. أي: سلطانه على هؤلاء؛ دليله ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُنَا عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠].

الثانية: وهذه الآيةُ والتي قبلها دليلٌ على جوازِ استثناءِ القليلِ من الكثير، والكثيرِ من القليلِ، مثل أن يقولَ: عشرةٌ إلا درهماً. أو يقولَ: عشرةٌ إلا تسعةً. وقال أحمدُ ابن حنبلٍ: لا يجوزُ أن يُسْتَثْنَى إلا قدرُ النصفِ فما دونه، وأمّا استثناءُ الأكثرِ من الجملةِ فلا يصحُّ. ودليلنا هذه الآيةُ، فإنَّ فيها استثناءَ «الغاوين» من العبادِ، والعبادِ من الغاوين، وذلك يدلُّ على أن استثناءَ الأقلِّ من الجملةِ، واستثناءَ الأكثرِ من الجملةِ جائزٌ<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿لَمَّا سَبَعَهُ أَبْوَابُ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُورٌ﴾ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: إبليسَ ومن اتبعه. ﴿لَمَّا سَبَعَهُ﴾

(١) ٤٧٦/١

(٢) ٣٧٢/٥

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ١٤/١ - ١٥ عن زيد بن أسلم مرسلًا.

(٤) ينظر حديث أبي هريرة وحديث أبي قتادة عند مسلم (٦٨٠)، و(٦٨١).

(٥) ينظر تفسير السمرقندي ٢/٢٢٠.

(٦) ينظر المحرر الوجيز ٣/٣٦٢، والمغني لابن قدامة ٧/٢٩٢ - ٢٩٤.

أَبْوَابٍ ﴿ أَي : أطباق ، طبقٌ فوقَ طبقٍ ﴾ لِكُلِّ بَابٍ ﴿ أَي : لكل طبقة ﴾ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿ أَي : حظٌ معلوم ﴾<sup>(١)</sup>. ذكر ابنُ المباركِ قال : أخبرنا إبراهيمُ أبو هارون الغنويُّ قال : سمعتُ حِطَّانَ بنَ عبد الله الرَّقَاشي يقول : سمعتُ علياً ؑ يقول : هل تدرُونَ كيف أبوابُ جهنم؟ قلنا : هي مثلُ أبوابنا. قال : لا ، هي هكذا بعضها فوقَ بعضٍ<sup>(٢)</sup>. زاد الثعلبيُّ : - ووضع إحدى يديه على الأخرى - وإنَّ الله وضع الجنانَ على الأرض ، والنيرانَ بعضها فوقَ بعضٍ ، فأسفلُها جهنمُ ، وفوقها الحُطمةُ ، وفوقها سقرٌ ، وفوقها الجحيمُ ، وفوقها لظى ، وفوقها السَّعير ، وفوقها الهاوية ، وكلُّ بابٍ أشدُّ حرًّا من الذي يليه سبعينَ مرةً<sup>(٣)</sup>.

قلت : كذا وقعَ هذا التفسير ، والذي عليه الأكثرُ من العلماءِ أن جهنمَ أعلى الدَّرَكَاتِ ، وهي مختصَّةٌ بالعصاة من أمةِ محمد ﷺ ، وهي التي تُخلى من أهلها ، فتصِفُّ الرياحُ أبوابها ، ثم لظى ، ثم الحُطمةُ ، ثم سعيرٌ ، ثم سقرٌ ، ثم الجحيمُ ، ثم الهاوية ؛ قال الضحَّاك : في الدَّرَكِ الأعلى المُحمديُّون ، وفي الثاني النَّصارى ، وفي الثالث اليهودُ ، وفي الرابع الصَّابثون ، وفي الخامس المجوسُ ، وفي السادس مشركو العرب ، وفي السابع المنافقون وآلُ فرعونَ ومَن كفرَ من أهلِ المائدة<sup>(٤)</sup>. قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْكُفَّيْنَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] - وقد تقدم في النساء<sup>(٥)</sup> ، - وقال : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] ، وقال : ﴿ مَن يَكْفُرْ بَعْدَ مِنكُم فإِنَّ أَعْدَابَهُ عَذَابًا لَّا أَعْدَابُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٥].

وقَسَمَ معاذُ بنُ جبلٍ ؑ العلماءَ السُّوءَ من هذه الأمةِ تقسيماً على تلك الأبوابِ ،

(١) تفسير الطبري ٧٢/١٤ - ٧٣ .

(٢) الزهد لابن المبارك ص ٨٥ زوائد نعيم بن حماد ، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ١٥٤/١٣ ، والطبري في تفسيره ٧٣/١٤ - ٧٤ .

(٣) تفسير البغوي ٥١/٣ ، والوسيط ٤٥/٣ - ٤٦ ، والمحرر الوجيز ٣/٣٦٣ ، وزاد المسير ٤٠٢/٤ - ٤٠٣ .

(٤) تفسير البغوي ٥١/٣ ، والوسيط ٤٦/٣ ، وزاد المسير ٤٦/٣ .

(٥) ١٩٥/٧ - ١٩٦ .

ذكرناه في كتاب «التذكرة»<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي<sup>(٢)</sup> من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لجَهَنَم سبعةُ أبواب: باب منها لمن سَلَ سيفه على أمي» قال: حديث غريب.

وقال أبي بن كعب: لجَهَنَم سبعةُ أبواب: باب منها للحرورية. وقال وهب بن مُنبه: بين كلِّ بابين مسيرة سبعين سنة، كلُّ بابٍ أشدُّ حرًّا من الذي فوقه بسبعين ضعفًا. وقد ذكرنا هذا كله في كتاب «التذكرة»<sup>(٣)</sup>.

وروى سَلَامُ الطويلُ، عن أبي سفيان، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قولِ الله تعالى: ﴿لَمَّا سَبَعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمُ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾: جزءٌ أشركوا بالله، وجزءٌ شكوا في الله، وجزءٌ غفلوا عن الله، وجزءٌ آثروا شهواتهم على الله، وجزءٌ شَفَّوا غيظهم بغضبِ الله، وجزءٌ صَيَّرُوا رَغْبَتَهُمْ بحظهم من الله، وجزءٌ عَتَوْا على الله. ذكره الحَلِيمِي أبو عبد الله الحسين بن الحسن في كتاب «منهاج الدين» له<sup>(٤)</sup>، وقال: فإن كان ثابتاً، فالمشركون بالله هم الثنوية. والشَّاكون هم الذين لا يدرون أنَّ لهم إلهاً أو لا إلهَ لهم، ويشكُّون في شريعته أنها من عنده أم لا. والغافلون عن الله هم الذين يجحدونه أصلاً ولا يُشَيِّتونه، وهم الدهرية. والمُؤثِّرون شهواتهم على الله هم المنهمكون في المعاصي؛ لتكذيبهم رسلَ الله وأمره ونهيه. والشَّاغفون غيظهم بغضبِ الله هم القاتلون أنبياءَ الله، وسائر الداعين إليه، المعدَّبون من ينصح لهم، أو يذهب غيرَ مذهبهم، والمُصَيِّرون رَغْبَتَهُمْ بحظهم من الله هم المنكرون البعث<sup>(٥)</sup> والحساب؛

(١) ص ٣٨٢ - ٣٨٣.

(٢) في سننه (٣١٢٣)، وهو في مسند أحمد (٥٦٨٩).

(٣) ص ٣٨٣ - ٣٨٤، وينظر التخويف من النار لابن رجب ص ٥٨.

(٤) منهاج في شعب الإيمان ١/ ٤٧٢ - ٤٧٣، وسَلَامُ الطويل: هو التميمي، السعدي، وهو متروك.

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٩/ ٢٩، بلفظ: جزء أشركوا بالله، وجزء شكوا في الله، وجزء غفلوا عن الله.

(٥) المثبت من (ظ)؛ وفي غيرها: بالبعث.

فهم يَعْبُدُونَ ما يرغبون فيه، لهم جميعُ حَظِّهم من الله تعالى. والعاتونَ على الله الذين لا يبالون بأن يكونَ ما هم فيه حقاً أو باطلاً، فلا يتفكرون، ولا يَعْتَبِرُونَ، ولا يَسْتَدْلُونَ. واللهُ أعلمُ بما أرادَ رسولُهُ ﷺ إن ثبتَ الحديثُ.

ويُروى أن سلمانَ الفارسيَّ ﷺ لما سَمِعَ هذه الآيةَ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فرَّ ثلاثةَ أيامٍ من الخوفِ لا يَعْقِلُ، فجاء به إلى رسولِ الله ﷺ فسأله، فقال: يا رسولَ الله، أنزلت هذه الآيةُ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فوالذي بعثك بالحقِّ لقد قَطَعْتَ قلبي. فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾<sup>(١)</sup> [الحجر: ٤٥].

وقال بلالٌ: كان النبيُّ ﷺ يُصلي في مسجدِ المدينة وَخَدَه، فمرَّت به امرأةٌ أعرابيةٌ، فصلَّت خلفه ولم يعلم بها، فقرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآيةَ: ﴿لَمَّا سَبَعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ فخرَّت الأعرابيةُ مغشياً عليها، وسمعَ النبيُّ ﷺ وَجَبْتَهَا<sup>(٢)</sup>، فانصرفَ ودعا بماءٍ فصبَّ على وجهها حتى أفاقَت وجَلَسَت، فقالَ النبيُّ ﷺ: «يا هذه، ما لكِ؟» فقالت: أهدأ شيءٌ من كتابِ الله المنزَّلِ، أو تقوله من تِلْقَاءِ نَفْسِكَ؟ فقال: «يا أعرابيةٌ، بل هو من كتابِ الله تعالى المنزَّلِ»، فقالت: كلُّ عضوٍ من أعضائي يُعذَّبُ على كلِّ بابٍ منها؟ قال: «يا أعرابيةٌ، بل لكلِّ بابٍ منهم جزءٌ مقسومٌ يُعذَّبُ أهلُ كلِّ منها على قدر أعمالِهِم»، فقالت: واللهِ إني امرأةٌ مسكينةٌ، مالي مالٌ، وما لي إلا سبعةُ أعْبُدُ، أشهدك يا رسولَ الله، أن كلَّ عبدٍ منهم عن كلِّ بابٍ من أبوابِ جهنمِ حُرٌّ لوجهِ الله تعالى. فأتاه جبريلُ فقال: يا رسولَ الله، بشرِ الأعرابيةَ أن الله قد حَرَّمَ عليها أبوابَ جهنمِ كلِّها، وفتح لها أبوابَ الجنةِ كلِّها<sup>(٣)</sup>.

(١) نَسبه السيوطي في لباب القول في أسباب النزول إلى الثعلبي.

(٢) الوَجْبَةُ: السقطةُ مع الهدية. الصحاح (وجب).

(٣) نَسبه ابن رجب الحنبلي في التخويف من النار ص ٥٨ - ٥٩، إلى الثعلبي في تفسيره بإسناد مجهول إلى منصور بن عبد الحميد بن أبي رباح...، فذكره، وقال: وهذا حديث لا يصح مرفوعاً، ومنصور =

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَغُيُوبٍ ﴿٤٥﴾ أَذْخَلُوهَا بِسَلْمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَغُيُوبٍ﴾ أي: الذين اتقوا الفواحش والشرك. ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ أي: بساتين<sup>(١)</sup>. ﴿وَعُيُوبٍ﴾: هي الأنهار الأربعة: ماء، وخمر، ولبن، وعسل. وأمّا العيون المذكورة في سورة الإنسان: الكافور والزنجبيل والسلسبيل، وفي «المطففين»: التسنيم، فيأتي ذكرها وأهلها إن شاء الله.

وضمّ العين من «غُيُوبٍ» على الأصل، والكسر مراعاةً للياء، وقُرئ بهما<sup>(٢)</sup>.

﴿أَذْخَلُوهَا بِسَلْمٍ ءَامِنِينَ﴾ قراءةً العامية: «ادخلوها» بوصل الألف وضمّ الخاء، من دخل يدخل، على الأمر. تقديره: قيل: ادخلوها. وقرأ الحسن وأبو العالية ورؤيس عن يعقوب: «ادخلوها» بضم التنوين ووصل الألف وكسر الخاء على الفعل المجهول<sup>(٣)</sup>، من أدخل، أي: أدخلهم الله إياها. ومذهبهم كسر التنوين في مثل ﴿يَرْحَمُهُ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ٤٩] وشبهه، إلا أنهم هاهنا ألّقوا حركة الهمزة على التنوين؛ إذ هي ألف قطع، ولكن فيه انتقالٌ من كسرٍ إلى ضمٍّ ثم من ضمٍّ إلى كسرٍ، فيثقل على اللسان.

﴿بِسَلْمٍ﴾ أي: بسلامة من كلِّ داءٍ وآفة. وقيل: بتحيةٍ من الله لهم. ﴿ءَامِنِينَ﴾

أي: من الموت والعذاب، والعزل والزوال<sup>(٤)</sup>.

= ابن عبد الحميد قال فيه ابن حبان: لا تحل الرواية عنه. والصحيح ما روى مغلد بن الحسن عن هشام بن حسان قال: خرجنا حجاً فنزلنا منزلاً في بعض الطريق، فقرأ رجل معنا هذه الآية..، فذكره مختصراً.

(١) تفسير السمرقندي ٢/٢٢٠، والوسيط ٣/٤٦.

(٢) قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص، وهشام بضم العين، والباقون بكسرها. التيسير ص ١٣٦.

(٣) ينظر الكشاف ٢/٣٩٢، والمححر الوجيز ٣/٣٦٣، والبحر المحيط ٥/٤٥٦، والنشر ٢/٣٠١. وقراءة يعقوب - وهو من العشرة - المتواترة عنه كقراءة حمزة وعاصم وأبي عمرو وابن ذكوان، بكسر التنوين، وضمّ الخاء.

(٤) النكت والعيون ٣/١٦١ - ٣٦٢، وزاد المسير ٤/٤٠٣.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

قال ابن عباس: أوّل ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله ما في قلوبهم من غلٍّ، ثم يدخلون العين الأخرى، فيغتسلون منها، فتشرق ألوانهم وتصفّو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم<sup>(١)</sup>. ونحوه عن عليّ<sup>(٢)</sup>.

وقال عليّ بن الحسين: نزلت في أبي بكر وعمر وعليّ والصحابه<sup>(٣)</sup>، يعني ما كان بينهم في الجاهلية من الغلّ. والقول الأوّل أظهر؛ يدلُّ عليه سياق الآية. وقال عليّ<sup>(٤)</sup>: أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من هؤلاء<sup>(٤)</sup>.

والغلّ: الحقد والعداوة، يقال منه: غلّ يغلّ. ويقال من الغلول، وهو السرقة من المعنم: غلّ يغلّ. ويقال من الخيانة: أغلّ يغلّ<sup>(٥)</sup>. كما قال<sup>(٦)</sup>:

جَزَى اللهُ عَنَا حَمْرَةَ ابْنَةَ نَوْفَلٍ      جِزَاءَ مُغِلٍّ بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ  
وقد مضى هذا في آل عمران.

﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض؛ تواصلاً وتحابياً، عن مجاهد<sup>(٧)</sup> وغيره. وقيل: الأسيرة تدور كيفما شاؤوا، فلا يرى أحد قفا

(١) زاد المسير ٣/٢٠٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/١٧٦، وابن أبي شيبة ١٣/١١٢، والطبري في تفسيره ٢٠/٢٦٧، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/٣٢٦٢ (١٨٤١٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٧/٢٢٦٧ (١٢٤٠٣)، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٨١، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣٠/٣٣٨ و ٥٤/٢٨٩.

(٤) سلف ٩/٢٢٢.

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد ١/٢٠٠، وسلف ٥/٣٨٨.

(٦) هو الثَّجْر بن تولب، وسلف ٥/٣٨٨.

(٧) أخرجه نعيم بن حماد في زوائد على زهد ابن المبارك (٤٣٤)، وهنّاد في الزهد (٨٠)، والطبري في التفسير ١٤/٨٠، وسيأتي من قول عكرمة أيضاً في سورة الصافات، الآية (٤٤).

أحد<sup>(١)</sup>. وقيل: «متقابلين»: قد أقبلت عليهم الأزواج، وأقبلوا عليهم بالوُد<sup>(٢)</sup>.

وسُرُر: جمع سرير، مثل جديد وجُدُد. وقيل: هو من السرور؛ فكأنه مكان رفيع مهَّد للسرور<sup>(٣)</sup>. والأول أظهر. قال ابن عباس: على سُرُر مكلَّلة بالياقوت والزَّبَرْجَد والذَّرُّ، السريرُ ما بين صنعاء إلى الجابية، وما بين عدن إلى أيلة<sup>(٤)</sup>.

و«إخواناً»: نصب على الحال من «المتقين»<sup>(٥)</sup> أو من المضمَر في «ادخلوها»، أو من المضمَر في «آمنين»، أو يكون حالاً مقدَّرة من الهاءِ والميمِ في «صدورهم»<sup>(٦)</sup>.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي: إعياءٌ وتعب<sup>(٧)</sup>. ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ دليل على أن نعيم الجنة دائم لا يزول، وأن أهلها فيها باقون ﴿أَكُلُّهَا دَائِمٌ﴾؛ ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَكُمْ مِنْ شَفَاةٍ﴾<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَنَجَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ  
الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

هذه الآية وزانٌ قوله عليه الصلاة والسلام: «لو يعلمُ المؤمنُ ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحدٌ، ولو يعلمُ الكافرُ ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته

(١) مجمع البيان للطبرسي ٣٠/١٤، والكشاف ٣٩٢/٢.

(٢) حكاة الماوردي في النكت والعيون ١٦٢/٣ عن القاسم.

(٣) ينظر الصحاح (سرر) وتهذيب اللغة ٢٨٤/١٢، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٥١/١، وتفسير الطبري ٨٠/١٤، والرازي ١٩٣/١٩.

(٤) أورده الواحدي في الوسيط ٤٦/٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٤/٤، والرازي في التفسير ١٩٣/١٩، والجابية: قرية من أعمال دمشق. معجم البلدان ٩١/٢، وأيلة: مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام. معجم البلدان ٢٩٢/١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٨٢/٢.

(٦) مشكل إعراب القرآن ٤١٤/١، وأمالى ابن الشجري ١٩٠/٣.

(٧) الوسيط ٤٦/٣، وزاد المنير ٤٠٤/٤.

(٨) ينظر تفسير الطبري ٨١/١٤.

أحد». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، وقد تقدّم في الفاتحة<sup>(١)</sup>. وهكذا ينبغي للإنسان أن يذكر نفسه وغيره، فيخوف ويرجي، ويكون الخوف في الصحة أغلب عليه منه في المرض<sup>(٢)</sup>. وجاء في الحديث أن النبي ﷺ خرج على الصحابة وهم يضحكون، فقال: «أتضحكون وبين أيديكم الجنة والنار؟!». فشق ذلك عليهم، فزلت الآية<sup>(٣)</sup>. ذكره الماوردي والمهدوي.

ولفظ الثعلبي عن ابن عمر قال: أطلع علينا النبي ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه ونحن نضحك، فقال: «ما لكم تضحكون؟ لا أراكم تضحكون»، ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر رجع القهقري، فقال: «إني لما خرجت؛ جاءني جبريل فقال: يا محمد لم تقنط عبادي من رحمتي؟ ﴿تَبَيَّنَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ»<sup>(٤)</sup>. فالقنوط إياس، والرجاء إهمال، وخير الأمور أوساؤها.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمْنَا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۗ ﴿٥٦﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ۖ ﴿٥٧﴾ قَالَ أِبَشَرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا بَشَّرُونَ ۗ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ضيف إبراهيم: هم الملائكة الذين

(١) ٢١٥/١.

(٢) ينظر تفسير الرازي ١٩٥/١٩.

(٣) أخرجه البزار (٢٢١٦) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٦/٧ ونسبه للطبراني وقال: رواه الطبراني، وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف. اه، ولم نقف عليه عند الطبراني، وأورده أيضاً البيهقي في معالم التنزيل ٥٢/٣، والمنذري في الترغيب والترهيب (٥٣٥٧) وقال: وليس في إسناده من ترك ولا أتهم. اه.

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨٩٢)، والطبري في التفسير ٨٢/١٤ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وفي إسناده: مصعب بن ثابت، وعاصم بن عبيد الله، وهما ضعيفان، كما في تقريب التهذيب. وأورده الواحدي في أسباب النزول ص ٢٨٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٣٦٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٠٤ - ٤٠٥.

بَشْرُوهُ بِالْوَلَدِ وَبِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرَهُمْ<sup>(١)</sup>. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُكْنَى أبا الضَّيْفَانِ، وَكَانَ لِقَضْرِهِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ؛ لِكَيْلَا يَفُوتَهُ أَحَدٌ<sup>(٢)</sup>. وَسُمِّيَ الضَّيْفُ ضَيْفًا؛ لِإِضَافَتِهِ إِلَيْكَ، وَنَزُولِهِ عَلَيْكَ<sup>(٣)</sup>. وَقَدْ مَضَى مِنْ حُكْمِ الضَّيْفِ فِي «هُودٍ» مَا يَكْفِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيَّ﴾ جُمِعَ الْخَبْرُ؛ لِأَنَّ الضَّيْفَ اسْمٌ يَصْلُحُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَالتَّثْنِيَةِ، وَالْمَذَكَّرِ وَالْمَوْثُوثِ، كَالْمَصْدَرِ<sup>(٤)</sup>. ضَافَهُ: مَالٌ إِلَيْهِ<sup>(٥)</sup> وَأَضَافَهُ: أَمَالَهُ<sup>(٦)</sup>؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «حِينَ تَضَيَّفَ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ»<sup>(٧)</sup>، وَضَيْفُوقَةُ السَّهْمِ<sup>(٨)</sup>، وَالْإِضَافَةُ النَّحْوِيَّةُ. ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أَي: سَلَّمُوا سَلَامًا<sup>(٩)</sup>.

﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ أَي: فَرَعُونَ خَائِفُونَ، وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا بَعْدَ أَنْ قَرَّبَ الْعَجَلَ وَرَأَاهُمْ لَا يَأْكُلُونَ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي هُودٍ<sup>(١٠)</sup>. وَقِيلَ: أَنْكَرَ السَّلَامَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بِلَادِهِمْ رَسْمُ السَّلَامِ.

(١) فِي سُورَةِ هُودٍ، الْآيَةِ (٦٩).

(٢) أَخْرَجَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ (بِرَوَايَةِ الدُّورِيِّ ١٥٦٢)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ ٣/٣٣٦، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ (٩٦١٨)، وَأَخْرَجَهُ - أَيْضًا - يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ (بِرَوَايَةِ الدُّورِيِّ ١٥٦٣)، وَابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ ١/٤٧، وَهَنَّادٌ فِي الزُّهْدِ (٦٥٠)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ ٣/٣٣٥، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ (٩٦١٧)، وَالبَغْوِيُّ فِي التَّفْسِيرِ ١/٤٨٤ مَقْتَصِرِينَ عَلَى الْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ عِكْرَمَةَ ۞.

(٣) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ٧٣/١٢.

(٤) يَنْظُرُ تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ ٨٣/١٤، وَالْمَحْرَرِ الرَّجِيزِ ٣/٢٢١.

(٥) قَوْلُهُ: مَالٌ إِلَيْهِ، مِنْ (ظ).

(٦) يَنْظُرُ غَرِيبَ الْحَدِيثِ لِأَبِي عِيْدٍ ١٧/١ - ١٨، وَالصَّحَاحَ (ضَيْفٌ) وَتَهْذِيبُ اللَّغَةِ ٧٣/١٢.

(٧) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثِ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجَهَنِيِّ ۞. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٨٣١)، وَأَوَّلُهُ: «ثَلَاثَ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَانَا أَنْ نَصَلِّيَ فِيهِنَّ...»

(٨) ضَافَ السَّهْمَ بِضَيْفٍ: إِذَا عَدَلَ عَنِ الْهَدَفِ. تَهْذِيبُ اللَّغَةِ ٧٣/١٢.

(٩) يَنْظُرُ مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ ٣/١٨٠.

(١٠) عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ (٧٠) مِنْهَا.

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ أي: قالت الملائكة: لا تخف. ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ أي:

حليم؛ قاله مقاتل. وقال الجمهور: عالم. وهو إسحاق<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَيَّ أَنْ مَسَّيَ الْكَبِيرُ﴾ «أن» مصدرية، أي: على مسِّ الكبرِ إِيَّايَ

وزوجتي، وقد تقدّم في هود وإبراهيم<sup>(٢)</sup>. [و] حيث يقول: «فَبِمَ تُبَشِّرُونَ» استفهامٌ

تعجب. وقيل: استفهامٌ حقيقي<sup>(٣)</sup>. وقرأ الحسن: «تُوجَل» بضمّ التاء<sup>(٤)</sup>. والأعمش:

«بشرتموني» بغير ألف<sup>(٥)</sup>، ونافع وشيبة: «تُبَشِّرُونَ» بكسر النون والتخفيف؛ مثل

«أتحاجوني» وقد تقدّم تعليقه<sup>(٦)</sup>. وقرأ ابن كثير وابن محيصن: «تُبَشِّرُونَ» بكسر النون

مشددة، تقديره: تبشرونني، فأدغم النون في النون. الباقون: «تُبشرون» بنصب النون

بغير إضافة<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: بما لا خُلف فيه، وأنَّ الولد لا بُدَّ منه.

﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ أي: من الآيسين من الولد، وكان قد آيس من الولد؛ لفرط

الكبر. وقراءة العامة: «مِن الْقَانِطِينَ» بالألف. وقرأ الأعمش ويحيى بن وثَّاب: «من

القنطين» بلا ألف. وروي عن أبي عمرو. وهو مقصورٌ من «القانطين». ويجوز أن يكون

من لغةٍ من قال: قَنِطُ يَقْنُطُ؛ مثل حذِر يحذر<sup>(٨)</sup>. وفتح النون وكسرُها من «يقنط» لغتان

(١) النكت والعيون ١٦٣/٣، وقوله: وهو إسحاق. أخرجه ابن أبي حاتم ٢٠٥٧/٦ من قول قتادة.

(٢) عند الآية ٧١ من سورة هود، والآية ٣٩ من سورة إبراهيم.

(٣) ينظر النكت والعيون ١٦٤/٣، والوسيط ٤٧/٣.

(٤) القراءات الشاذة ص ٧١، والمحتسب ٤/٢.

(٥) نسبها أبو حيان في البحر المحيط ٤٥٨/٥ للأعرج.

(٦) ٤٤٣/٨.

(٧) السبعة ص ٣٦٧، والتيسير ص ١٣٦، وقراءة ابن محيصن في إتحاف الفضلاء ص ٣٤٧.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣٨٣/٢ - ٣٨٤، والبحر المحيط ٤٥٩/٥.

قُرئ بهما<sup>(١)</sup>. وحكي فيه «يَقْنَطُ» بالضم<sup>(٢)</sup>. ولم يأت فيه «قَنَطُ يَقْنَطُ». ومن فَتَحَ النونَ في الماضي والمستقبل فإنه جمع بين اللغتين، فأخذ في الماضي بلغة من قال: قَنَطُ يَقْنَطُ، وفي المستقبل بلغة من قال: قَنَطُ يَقْنَطُ<sup>(٣)</sup>. ذكره المهدوي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾

أي: المكذَّبون الذاهبون عن طريق الصواب. يعني أنه استبعد الولد؛ لكبر سنّه، لا أنه قنط من رحمة الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكُمْ قَوْمِ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا نَدْرَأُ إِنَّا لَمِنَ الْغَادِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: لما علم أنهم ملائكة - إذ أخبروه بأمرٍ خارقٍ للعادة، وهو بُشراهم بالولد - قال: فما خطبكم؟ والخطب: الأمرُ الخطيرُ. أي: فما أمرُكم وشأنكم، وما الذي جئتم به؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكُمْ قَوْمِ مُجْرِمِينَ﴾ أي: مشركين ضالين. وفي الكلام إضمارًا، أي: أرسلنا إلى قوم مجرمين؛ لنهلكهم.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾: أتباعه وأهل دينه. ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ وقرأ حمزة والكسائي: ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾ بالتخفيف، من «أنجى». الباقي: بالتشديد، من «نَجَّى»<sup>(٤)</sup>، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم. والتنجية والإنجاء: التخليصُ.

﴿إِلَّا أَمْرًا نَدْرَأُ﴾ استثنى من آل لوط أمراته، وكانت كافرةً، فالتحقّت بالمجرمين في

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي من السبعة بكسر النون، والباقيون بفتحها. السبعة ص ٣٦٧، والتيسير ص ١٣٦.

(٢) وهي قراءة زيد بن علي والأشهب. البحر المحيط ٤٥٩/٥، والمحتسب ٥/٢.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣٢٨/٢، والمحتسب ٥/٢، والصحاح، وتهذيب اللغة ٢٧٩/١٦.

(٤) السبعة ص ٣٦٧، والتيسير ص ١٣٦.

الهلاك. وقد تقدّمت قصة قوم لوط في «الأعراف»<sup>(١)</sup> وسورة «هود»<sup>(٢)</sup> بما فيه كفاية.

﴿قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمِنَ الْفَلَيْتِ﴾ أي: قضينا وكتبنا إنها لمن الباقين في العذاب.

والغابر: الباقي.

قال (٣):

لا تَكْسَعِ<sup>(٤)</sup> الشَّوْلُ<sup>(٥)</sup> بأغبارها إنك لا تدري من النَّاتِجِ

الأغبار: بقايا اللبّن.

وقرأ أبو بكرٍ والمفضل: «قَدَرْنَا» بالتخفيف هنا<sup>(٦)</sup> وفي النمل<sup>(٧)</sup>، وشدّد الباقون.

الهِرَوِيُّ: يقال: قدّر وقدّر، بمعنى.

الثانية: لا خلاف بين أهل اللسان وغيرهم أنّ الاستثناء من النفي إثبات، ومن

الإثبات نفي؛ فإذا قال رجل: له عليّ عشرة دراهم إلا أربعة إلا درهماً؛ ثبت الإقرار بسبعة؛ لأنّ الدرهم مستثنى من الأربعة، وهو مثبت؛ لأنه مستثنى من منفي، وكانت الأربعة منفيّة؛ لأنها مستثناة من موجب، وهو العشرة، فعاد الدرهم إلى الستّة، فصارت سبعة.

وكذلك لو قال: عليّ خمسة دراهم إلا درهماً إلا ثلثيّه؛ كان عليه أربعة دراهم

(١) ٢٧٣/٩ .

(٢) ١٧٣/١١ وما بعدها .

(٣) الحارث بن حلّزة، والبيت في ديوانه ص ١١١ ، وكسَع الناقة بغيرها: تَرَكَ في خَلْفِهَا بَقِيَّةً من اللبّن، يريد بذلك تغزيرها، والشول: الناقة التي لم يبقَ في ضرعها إلا بقية من اللبّن، والمعنى: لا تَبْقَى ذلك اللبّن لتسمنَ الأولاد، فإنك لا تدري من ينتجها فلعلك تموت، فتكون للوارث، أو يُغار عليها. الكامل للمبرد ٤٨٤/١ ، واللسان: (شول) و(كسع).

(٤) في (د): تكسع، وفي (ظ): تلسع.

(٥) في (د): النار.

(٦) قراءة أبي بكر - وهو شعبة بن عياش الراوي عن عاصم - في السبعة ص ٣٦٧ ، والتيسير ص ١٣٦ .

(٧) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرًا قَدَرْنَا مِن الْفَلَيْتِ﴾ الآية (٥٧).

وثلث. وكذلك إذا قال: لفلان عليّ عشرة إلا تسعة إلا ثمانية إلا سبعة؛ كان الاستثناء الثاني راجعاً إلى ما قبله، والثالث إلى الثاني، فيكون عليه درهمان؛ لأن العشرة إثبات، والثمانية إثبات، فيكون مجموعها ثمانية عشر، والتسعة نفي، والسبعة نفي، فيكون ستة عشر، تسقط من ثمانية عشر، ويبقى درهمان، وهو القدر الواجب بالإقرار لا غير.

فقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا آلَ لُوطٍ آلَ لُوطٍ مِنَ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾ فاستثنى آل لوط من القوم المجرمين، ثم قال: ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾ فاستثنى آل لوط من آل لوط، فرجعت في التأويل إلى القوم المجرمين كما بيّنا. وهكذا الحكم في الطلاق، لو قال لزوجته: أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين إلا واحدة، طلقت اثنتين؛ لأن الواحدة رجعت إلى الباقي من المستثنى منه، وهي الثلاث. وكذا كل ما جاء من هذا، فتفهّمه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿١١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَأَيُّنَا بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ يَقطع مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: لا أعرفكم. وقيل: كانوا شباباً ورأى جمالاً، فخاف عليهم من فتنة قومه؛ فهذا هو الإنكار.

﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكون أنه نازل بهم، وهو العذاب. ﴿وَأَيُّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق. وقيل: بالعذاب. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي: في هلاكهم.

(١) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٨٥، والنكت والعيون ٣/ ١٦٤، وأحكام القرآن ٣/ ١١١٦ - ١١١٧، والمحصول لابن العربي ص ٨٢ - ٨٥.

﴿فَأَسِرَّ بِأَهْلِكَ يَفْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ تقدم في هود<sup>(١)</sup>. ﴿وَأَتَّبَعُوا آدْبُرَهُمْ﴾ أي: كن من ورائهم؛ لئلا يتخلف منهم أحدٌ فينالَه العذاب.

﴿وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ نُهوا عن الالتفاتِ ليجدُوا في السير، ويتباعدوا عن القرية قبل أن يُفاجئهم الضُّبح. وقيل: المعنى: لا يتخلف.

﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني الشَّام<sup>(٢)</sup>. مقاتل: يعني صُغَرَ<sup>(٣)</sup>، قريةٌ من قُرى لوط<sup>(٤)</sup>. وقد تقدَّم<sup>(٥)</sup>. وقيل: إنه مضى إلى أرضِ الخليلِ بمكان يُقال له: اليقين، وإنما سُمِّيَ اليقين؛ لأنَّ إبراهيمَ لما خرجت الرسلُ شيعهم، فقال لجبريلَ: من أين يُخسَفُ بهم؟ قال: من هاهنا. وحدَّ له حدًّا، وذهب جبريلُ؛ فلما جاء لوطُ، جلس عند إبراهيمَ، وارتقبا ذلك العذابَ، فلما اهتزت الأرضُ قال إبراهيمُ: أيقنتُ بالله، فسُمِّيَ اليقين.

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَايِرَ هُنُلَاءَ مَقْطَعٌ مُضِحِينَ﴾<sup>(٦)</sup> وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبِشِرُونَ ﴿٧﴾ قَالَ إِنَّ هُنُلَاءَ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٨﴾ وَأَنْقَرُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرَبُونَ ﴿٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ قَالَ هُنُلَاءَ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أي: أوحينا إلى لوط. ﴿ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَايِرَ هُنُلَاءَ مَقْطَعٌ مُضِحِينَ﴾ نظيره: ﴿فَقَطَّعَ دَايِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٥].

(١) ١٨٢/١١ - ١٨٣ .

(٢) الوسيط ٤٨/٣ ، وتفسير البغوي ٥٤/٣ ، وزاد المسير ٤٠٧/٤ .

(٣) في (ز) و(د): صغر، وفي (م): صغد، وفي (ظ): صغر، والمثبت من معجم البلدان ٤١١/٣ وفيه أن صُغَرَ على وزن زُفَرٍ وُضِرَدٍ، وهي زُغَرٌ التي تقدم ذكرها عنده ١٤٢/٣ ، - وكذا ذكرها البغوي في تفسيره ٥٤/٣ - وأنها نَجَتْ لأن أهلها لم يكونوا يعملون الفاحشة.

(٤) زاد المسير ٤٠٧/٤ ونسبه إلى ابن السائب.

(٥) ١٨٥/١١ - ١٨٦ .

﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي: عند طلوع الصُّبْح. وقد تقدَّم (١).

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ أي: أهل مدينة لوط ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: مستبشرين بالأضياف؛ طمعاً منهم في ركوب الفاحشة. ﴿قَالَ إِنَّ هَذُلَاءَ ضَيِّفِي﴾ أي: أضيافي. ﴿فَلَا تَقْصَحُون﴾ أي: تُخْجِلُون. ﴿وَأَقْرَأُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون﴾ يجوز أن يكون من الخزي، وهو الذلُّ والهوان، ويجوز أن يكون من الخزية، وهو الحياء والحجل. وقد تقدَّم في هود (٢). ﴿قَالُوا أَوْلَمْ نَتَّهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: عن أن تضيف أحداً؛ لأننا نريد منهم الفاحشة. وكانوا يقصدون بفعلهم الغرباء؛ عن الحسن. وقد تقدَّم في الأعراف (٣). وقيل: أو لم نهك عن أن تكلمنا في أحدٍ من الناس إذا قصدناه بالفاحشة. ﴿قَالَ هَذُلَاءَ بَنَاتٌ إِن كُنتُمْ فَعَالِينَ﴾ أي: فتزوجوهن ولا تركنوا إلى الحرام. وقد تقدَّم بيان هذا في هود (٤).

قوله تعالى: ﴿لَمَّا تَرَاكَ إِيَّاهُمْ لَمَّا سَكَرْتَهُمْ بِعَمَهُونَ﴾ (٧٨)

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قال القاضي أبو بكر بن العربي (٥): قال المفسرون بأجمعهم: أقسم الله تعالى هاهنا بحياة محمد ﷺ تشريفاً له، أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون، وفي خيرتهم يترددون.

قلت: وهكذا قال القاضي عياض: أجمع أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جلَّ جلاله بمدة حياة محمد ﷺ. وأصله ضمُّ العين؛ من العُمُر، ولكنها فُتحت؛ لكثرة الاستعمال. ومعناه: وبقائك يا محمد. وقيل: وحياتك. وهذا نهاية التعظيم، وغاية

(١) ٣٨١/٨.

(٢) عند تفسير الآية (٧٨).

(٣) المحرر الوجيز ٤٢٤/٢، وتفسير البغوي ١٧٩/٢، وتقدم ٢٧٧/٩.

(٤) ١٨٥/١١.

(٥) في أحكام القرآن ١١١٨/٣.

البرِّ والتشريف. قال أبو الجوزاء<sup>(١)</sup>: ما أقسم الله بحياةٍ أحدٍ غيرِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لأنه أكرمُ البريةِ عنده<sup>(٢)</sup>.

قال ابنُ العربي<sup>(٣)</sup>: ما الذي يَمْنَعُ أن يُقَسِّمَ اللهُ سبحانه وتعالى بحياةِ لوطٍ، ويبلغ به من التشريفِ ما شاء؟ وكلُّ ما يُعْطِيهِ اللهُ تعالى للوطٍ من فَضْلٍ يُؤْتِي ضِعْفِيهِ من شرفٍ لمُحَمَّدٍ ﷺ؛ لأنه أكرمُ على اللهِ منه؛ أو لا ترى أنه سبحانه أعطى إبراهيمَ الخَلَّةَ، وموسى التَكْلِيمَ، وأعطى ذلكَ لمُحَمَّدٍ، فإذا أقسم بحياةِ لوطٍ، فحياةُ مُحَمَّدٍ أَرْفَعُ. ولا يَخْرُجُ من كلامٍ إلى كلامٍ لم يَجْرِ له ذِكْرٌ لغيرِ ضرورة.

قلت: ما قاله حسنٌ؛ فإنه كان يكون قَسَمُهُ سبحانه بحياةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كلاماً معترضاً في قصةِ لوطٍ. قال القشيريُّ أبو نصر عبدُ الرحيمِ بنُ عبدِ الكريمِ في تفسيره: ويحتمل أن يقال: يَرْجِعُ ذلكَ إلى قومِ لوطٍ، أي: كانوا في سَكْرَتِهِمْ يَغْمَهُونَ. وقيل: لما وعظ لوطٌ قومَه، وقال: هؤلاء بناتي. قالت الملائكةُ: يا لوطُ: «لَعْمُرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَغْمَهُونَ» ولا يدرون ما يَجِلُّ بهم صباحاً.

فإن قيل: فقد أقسمَ تعالى بالتينِ والزيتونِ وطورِ سينين؛ فما في هذا؟ قيل له: ما من شيءٍ أقسمَ اللهُ به إلا وذلك دلالَةٌ على فَضْلِهِ على ما يدخل في عِدَادِهِ، فكذلك نبينا ﷺ يجب أن يكون أفضلَ ممن هو في عِدَادِهِ.

والعمرُ والعُمُرُ - بضمِّ العينِ وفتحِها - لغتان، ومعناها واحدٌ؛ إلا أنه لا يُسْتَعْمَلُ في القَسَمِ إلا بالفتحِ؛ لكثرة الاستعمال<sup>(٤)</sup>. وتقول: عَمْرُكَ اللهُ، أي: أسألُ اللهَ تعميرَكَ. و«لَعْمُرُكَ»: رفعٌ بالابتداءِ، وخبرُه محذوفٌ. المعنى: لَعْمُرُكَ مما أقسمَ به<sup>(٥)</sup>.

(١) أوس بن عبد الله الرِّثَمي، بصري، يرسل كثيراً، ثقة، (ت ٨٣هـ). تقريب التهذيب.

(٢) الشفا للقاضي عياض ١/٨٦.

(٣) في أحكام القرآن ٣/١١١٨.

(٤) المحرر الوجيز ٣/٣٦٩.

(٥) إعراب القرآن ٢/٣٨٧، ومعاني القرآن ٤/٣٤ للنحاس، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١١١٨.

الثانية: كره كثيرٌ من العلماء أن يقول الإنسان: لَعْمَرِي؛ لأنَّ معناه: وحياتي. قال إبراهيمُ النَّخَعِيُّ<sup>(١)</sup>: يُكره للرجل أن يقول: لَعْمَرِي؛ لأنه حَلَفَ بحياته نفسه، وذلك من كلام ضَعَفَةَ الرجال. ونحو هذا قال مالك: إنَّ المستضعفينَ من الرجال والمؤنثين يُقسَمون بحياتِك وعَيْشِك، وليس من كلامِ أهلِ الذُّكران، وإن كان الله سبحانه أقَسَمَ به في هذه القِصَّة؛ فذلك بيانٌ لَشَرَفِ المنزلةِ والرفعةِ لمكانه، فلا يُحْمَلُ عليه سواء، ولا يُسْتَعْمَلُ في غيره. وقال ابنُ حبيبٍ: ينبغي أن يُصرف «لَعْمَرِك» في الكلام لهذه الآية. وقال قتادة: هو من كلامِ العرب. قال ابنُ العربي: وبه أقول، لكنَّ الشرعَ قد قَطَعَه في الاستعمال، وردَّ القَسَمَ إليه<sup>(٢)</sup>.

قلت: القَسَمُ بـ «لَعْمَرِك» و«لَعْمَرِي» ونحوه في أشعارِ العربِ وفصيحِ كلامها كثير<sup>(٣)</sup>.

قال النابغة<sup>(٤)</sup>:

لَعْمَرِي وما عَمَرِي عليَّ بهيِّنٍ      لقد نَطَقْتُ بُظْلاً عَلَيَّ الأَقَارِغُ  
آخر:

لَعْمَرِكُ إنَّ الموتَ ما أخطأ الفتى      لكالطَّوْلِ المُرْخِي وثُنياءُ باليدِ<sup>(٥)</sup>  
آخر:

أُيْها المنكحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً      عَمَرَكُ اللّهَ كيفَ يَلْتَقِيانِ<sup>(٦)</sup>

(١) أخرجه الطبري ٩٣/١٤ ، وينظر المحرر الوجيز ٣/٣٧٠ .

(٢) المحرر الوجيز ٣/٣٧٠ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١١١٨ - ١١١٩ .

(٣) المحرر الوجيز ٣/٣٦٩ .

(٤) في ديوانه ص ٨٠ .

(٥) قائله طرفه بن العبد، والبيت في ديوانه ص ٣٤ ، والطَّوْلُ: الحبل الذي يُطَوَّلُ للدابة فترعى فيه. الصحاح (طول).

(٦) قائله عمر بن أبي سلمة، وهو في ديوانه ص ٢٢٩ .

آخر:

إِذَا رَضِيتُ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَغْجِبْنِي رَضَاهَا<sup>(١)</sup>  
وقال بعض أهل المعاني: لا يجوز هذا؛ لأنه لا يُقال: لله عُمرٌ، وإنما هو تعالى  
أزلي. ذكره الزهراوي.

الثالثة: قد مضى الكلام فيما يُحلف به وما لا يجوز الحلف به في «المائدة»<sup>(٢)</sup>،  
وذكرنا هناك قولَ أحمدَ بنِ حنبلٍ فيمن أقسم بالنبِيِّ ﷺ لزمته الكفارة.

قال ابنُ خُوَيْرِمْثَدَادٍ: من جَوَّزَ الحَلِفَ بغيرِ اللهِ تعالى مما يجوز تعظيمه بحق من  
الحقوق، فليس يقول إنَّها يمينٌ تتعلَّقُ بها كفارة؛ إلا أنه من قصَدَ الكذبَ كان ملوماً؛  
لأنه في الباطن مستخفٌ بما وجبَ عليه تعظيمه.

قالوا: وقوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ أي: وحياتِكَ. وإذا أقسم اللهُ تعالى ب حياة نبيه فإنما  
أرادَ بيانَ التصريحِ لنا أنه يجوزُ لنا أن نَحْلِفَ بحياته. وعلى مذهب مالكٍ معنى قوله:  
﴿لَعَمْرُكَ﴾، ﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التيين: ١]، ﴿وَالطُّورِ . وَكُنُوبِ الْمَسْطُورِ﴾ [الطور: ١-٢]،  
﴿وَالنَّجْرِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١]، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١]، ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ  
جِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَلاَدُ﴾ [البلد: ١-٣] كل هذا معناه: وخالقِ التينِ والزيتونِ، وربِّ  
الكتابِ الْمَسْطُورِ، وربِّ البلدِ الذي حَلَلْتِ به، وخالقِ عيشِكَ وحياتِكَ، وحقُّ  
محمَّدٍ؛ فاليمينُ والقسمُ حاصلٌ به سبحانه لا بالمخلوق.

قال ابنُ خُوَيْرِمْثَدَادٍ: ومن جَوَّزَ اليمينَ بغيرِ اللهِ تعالى تأوَّلَ قوله ﷺ: «لا تحلفوا  
بآبائكم»<sup>(٣)</sup>. وقال: إنَّما نهى عن الحَلِفِ بالآباءِ الكفَّارِ، ألا ترى أنه قال لما حَلَفُوا  
بآبائهم: «لَلْجَبَلِ عِنْدَ اللهِ أَكْرَمُ من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية»<sup>(٤)</sup>. ومالك حَمَلَ

(١) القائل هو القحيف العقيلي، وهو في أدب الكاتب ص ٥٠٦، والخصائص ٢/٣١١.

(٢) ١٣١/٨ - ١٣٢ وما بعدها.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٤٨)، ومسلم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) لم نقف عليه.

الحديث على ظاهره.

قال ابن خُوَيزِمِنداد: واستدل أيضاً من جَوَّز ذلك؛ بأنَّ أيمانَ المسلمين جَرَتْ منذ عهدِ النبي ﷺ إلى يومنا هذا أن يَحْلِفُوا بالنبي ﷺ، حتى إنَّ أهلَ المدينة إلى يومنا هذا إذا حَاكَم أحدهم صاحبه قال: اَحْلِفْ لي بحقِّ ما حواه هذا القبرُ، وبحقِّ ساكنِ هذا القبرِ، يعني النبي ﷺ، وكذلك بالحرمِ، والمشاعِرِ العظامِ، والرُّكنِ، والمَقامِ، والمِخْرَابِ، وما يُتلى فيه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٢﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ نصبٌ على الحال، أي: وقتَ شروقِ الشمسِ. يقال: أشرقَتِ الشمسُ، أي: أضاءت، وشرقت: إذا طلعت. وقيل: هما لغتان بمعنى. وأشرقَ القومُ، أي: دخلوا في وقتِ شروقِ الشمسِ. مثل: أصبحوا وأمسوا، وهو المرادُ في الآية. وقيل: أرادَ شروقَ الفجرِ. وقيل: أوَّلُ العذابِ كان عند الصبحِ، وامتدَّ إلى شروقِ الشمسِ، فكان تمامُ الهلاكِ عند ذلك، والله أعلم<sup>(٢)</sup>. و«الصيحة»: العذاب<sup>(٣)</sup>. وتقدّم ذكر «سجّيل»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ روى الترمذيُّ الحكيمُ في «نوادِر الأصول»<sup>(٥)</sup>

(١) أكثر الفقهاء على عدم جواز الحلف بغير الله. وينظر تفصيل المسألة في فتح الباري ١١/٥٣١.

(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٨٧، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٨٤، والوسيط ٣/٤٩، وزاد المسير ٤/٤٠٩، والصحاح (شرق).

(٣) الوسيط ٣/٤٩.

(٤) ١٨٦/١١ - ١٨٧.

(٥) لم تقف عليه في المطبوع منه.

من حديث أبي سعيد الخُدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «للمتفرسين»، وهو قول مجاهد<sup>(١)</sup>.

وروى أبو عيسى الترمذي عن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ» ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾. قال: هذا حديث غريب<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل وابن زيد: للمتوسمين: للمتفكرين<sup>(٣)</sup>. الضحاك: للناظرين<sup>(٤)</sup>. قال الشاعر<sup>(٥)</sup>:

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٍ      بعثوا إليَّ عريفهم يتوسَّمُ  
وقال قتادة: للمعتبرين<sup>(٦)</sup>. قال زهير<sup>(٧)</sup>:

وَفِيهِنَّ مَلَهَى لِلصِّدِّيقِ وَمَنْظَرٌ      أُنِيقُ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ  
وقال أبو عبيدة<sup>(٨)</sup>: للمتبصِّرين. والمعنى متقارب.

وروى الترمذي الحكيم<sup>(٩)</sup> من حديث ثابت عن أنس بن مالك قال: قال

(١) تفسير مجاهد ١/٣٤٢، وأخرجه أيضاً الطبري في تفسيره ١٤/٩٤ - ٩٥. وهو عند ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٣٧٠.

(٢) سنن الترمذي (٣١٢٧).

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٩١، والوسيط ٣/٤٩، والنكت والعيون ٣/١٦٧، وتفسير البغوي ٣/٥٥، وزاد المسير ٤/٤١٠.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/٩٥ و ٩٧، وأورده الماوردي في النكت والعيون ٣/١٦٧.

(٥) القائل هو طريف بن تميم العنبري، وهو في الأصمعيات ص ١٢٧، والبيان والتبيين ٣/١٠١.

(٦) أخرجه عبد الرزاق ٢/٣٤٩، والطبري في تفسيره ١٤/٩٦، وأبو الشيخ في العظمة (٥٠)، وأورده الماوردي في النكت والعيون ٣/١٦٧، والواحدي في الوسيط ٣/٤٩.

(٧) ديوانه ص ١٠ (بشرح ثعلب).

(٨) في مجاز القرآن ١/٣٥٤.

(٩) نواذر الأصول ص ٢٧١، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٢٩٣٥)، والبيزار ٣٦٣٢ كشف الأستار). وفي إسناده: بكر بن الحكم أبو بشر المزلق، قال الذهبي في ميزان الاعتدال ١/٣٤٤: روى خبراً منكراً، وذكر الحديث.

رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ».

قال العلماء: التوسُّمُ: تفعلُّ؛ من الوَسْمِ، وهي العَلَامَةُ التي يُسْتَدَلُّ بها على مطلوبٍ غيرها. يقال: توَسَّمْتُ فيه الخَيْرَ: إذا رأيتَ مِيسَمَ ذلك فيه<sup>(١)</sup>، ومنه قولُ عبدِ الله بنِ رَوَاحَةَ للنبيِّ ﷺ:

إني توَسَّمْتُ فيكَ الخَيْرَ أعْرِفُهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ البَصَرِ<sup>(٢)</sup>  
آخر:

توسَّمْتُهُ لما رأيتُ مهابةً عليه وقلتُ المرءُ من آلِ هاشمٍ<sup>(٣)</sup>  
وأتسم الرجلُ: إذا جعلَ لنفسِهِ عَلامَةً يُعرفُ بها. وتوسَّم الرجلُ: طلبَ كَلامَ الوَسْمِيِّ<sup>(٤)</sup>. وأنشد:

وَأضْبَحْنَ كَالدَّوْمِ النَّوَاعِمِ غُدُوَّةً عَلَى وَجْهَةٍ مِنْ طَاعِنٍ مُتَوَسِّمٍ<sup>(٥)</sup>  
وقال ثعلب: الواسمُ: الناظرُ إليك مِنْ فَرَقِكَ إلى قَدَمِكَ. وأصل التوسُّم: التثبُّت والتفكُّر؛ مأخوذ من الوَسْمِ، وهو التأثيرُ بحديدةٍ في جِلْد البعير وغيره، وذلك يكون بجودةِ القَرِيحة، وجِدَّةِ الخاطر، وصفاءِ الفِكر. زاد غيره: وتفريغِ القلبِ من حَشْوِ الدنيا، وتطهيره من أدناسِ المعاصي، وكدورةِ الأخلاقِ، وفُضُولِ الدنيا. روى نَهْشَلُ عن ابنِ عباسٍ: «للمتوسمين» قال: لأهلِ الصلاحِ والخير. وزعمت الصوفيَّةُ أنها

(١) ينظر لسان العرب (وسم).

(٢) ديوانه ص ٩٤، والبيت فيه:

إني تفرَّستُ فيكَ الخَيْرَ أعْرِفُهُ فِرَاسَةً خَالَفَتْهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا

(٣) البيت لأعرابي أضاف عبید الله بنَ العباس، وكان عند الأعرابي شاة لا يملك غيرها فذبحها له، وقَدَّمها بين يديه، فكافأه عليها خمسَ مئة دينار، فقال فيه قصيدة هذا مطلعها، وذكر تتمتها المبرد في الفاضل ص ٣٢، والبغدادي في خزنة الأدب ٢٨٢/٨.

(٤) الصحاح ولسان العرب (وسم)، وأرض موسومة: أصابها الوسميُّ، وهو مطر يكون بعد الخَرْفِي في البرد.

(٥) ذكره نشوان الحميري في الحور العين ص ٤١.

كرامة. وقيل: بل هي استدلالٌ بالعلامات، ومن العلامات ما يبدو ظاهراً لكلِّ أحدٍ، وبأولِ نظرة، ومنها ما يخفى فلا يبدو لكلِّ أحدٍ، ولا يُدرَك ببادئِ النظر. قال الحسن: المتوسِّمون: هم الذين يتوسَّمون الأمورَ فيعلمون أنَّ الذي أهلك قومَ لوطٍ قادرٌ على أن يهلك الكفَّارَ؛ فهذا من الدلائلِ الظاهرة.

ومثله قولُ ابنِ عباس: ما سألتني أحدٌ عن شيءٍ إلا عرَّفْتُ أفتيه هو أو غيرُ فقيه.

وروي عن الشافعي ومحمد بن الحسن أنهما كانا بفناء الكعبة، ورجلٌ على بابِ المسجد، فقال أحدهما: أراه نجاراً، وقال الآخرُ: بل حدَّاداً، فتبادرَ من حضَرَ إلى الرجلِ فسأله، فقال: كنت نجاراً، وأنا اليوم حدَّادٌ<sup>(١)</sup>.

وروي عن جُنْدُبِ بنِ عبدِ الله البَجَلِيِّ أنه أتى على رجلٍ يقرأ القرآنَ فوقف، فقال: من سَمِعَ سَمِعَ اللهُ به، ومن رَأى رَأى اللهُ به. فقلنا له: كأنك عرَّضتَ بهذا الرجلِ، فقال: إنَّ هذا يقرأ عليك القرآنَ اليوم، ويخرجُ غداً حرُّورياً؛ فكان رأسَ الحرُّوريَّةِ، واسمه مِرْداس<sup>(٢)</sup>.

وروي عن الحسن البصري أنه دَخَلَ عليه عمرو بنُ عبِيدٍ فقال: هذا سيِّدُ فتِيانِ البَصْرَةِ إن لم يُحَدِّثْ، فكان من أمره من القَدَرِ ما كان، حتى هجره عامَّةُ إخوانه. وقال لأيوِبُ: هذا سيِّدُ فتِيانِ أهلِ البَصْرَةِ؛ ولم يستثنِ، وروي عن الشَّعْبِيِّ أنه قال لداوَدَ الأودي<sup>(٣)</sup> وهو يُماريه: إنَّك لا تموتُ حتى تُكْوَى في رأسِك، وكان كذلك<sup>(٤)</sup>.

وروي أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ ؓ دخل عليه قومٌ من<sup>(٥)</sup> مذحجٍ فيهم الأشرُّ، فصعدَ

(١) الرسالة القشيرية ١٧٦/٣، وأحكام القرآن لابن العربي ١١١٩/٣.

(٢) لم نقف عليه، ومرداس: هو ابن أديّة - وهي أمه - ابن حُدَيْر، أبو بلال التميمي. ينظر الكامل لابن الأثير ٥١٧/٢ و٥٨٢ حوادث سنتي (٥٨) و(٦١) هـ.

(٣) في (ز) و(د) و(م): الأزدي، والمثبت من (ظ) ومصدر التخريج.

(٤) نواذر الأصول ص ٢٧١.

(٥) بعدها في (ظ): بني.

فيه النظر وصوّبه وقال: أيهم هذا؟ قالوا: مالك بن الحارث. فقال: ما له قاتله الله؟!  
إني لأرى للمسلمين منه يوماً عصيباً؛ فكان منه في الفتنة ما كان<sup>(١)</sup>.

وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن أنس بن مالك دخل عليه، وكان قد مرَّ  
بالسوق، فنظر إلى امرأة، فلما نظر إليه، قال عثمان: يدخل أحدكم عليّ وفي عينيه  
أثر الزنى؟! فقال له أنس: أوخياً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال: لا! ولكن برهاناً وفِراسةً  
وصِدْقٌ<sup>(٢)</sup>. ومثله كثيرٌ عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

الثانية: قال أبو بكر بن العربي: إذا ثبت أن التوسّم والتفرّس من مدارك المعاني؛  
فإن ذلك لا يترتب عليه حُكْم، ولا يُؤخذ به موسومٌ ولا متفرّس. وقد كان قاضي  
القضاة الشامي المالكي ببغداد أيام كوني بالشام يحكّم بالفِراسة في الأحكام، جزياً  
على طريق إياس بن معاوية أيام كان قاضياً، وكان شيخنا فخر الإسلام أبو بكر  
الشاشي صنّف جزءاً في الردّ عليه، كتبه لي بخطه وأعطانيه. وذلك صحيح؛ فإن  
مدارك الأحكام معلومة شرعاً، مدركة قطعاً، وليست الفِراسة منها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتَآ لِسَبِيلِ مُقْبِرٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ  
أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ لَطَّالِبِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُم وَإِنْتَهَا لِيَامِرٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنتَآ﴾ يعني: قرى قوم لوط. ﴿لِسَبِيلِ مُقْبِرٍ﴾ أي: على طريق  
قومك يا محمّد إلى الشام<sup>(٣)</sup>. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لَعِبْرَةٌ لِّلْمُصَدِّقِينَ<sup>(٤)</sup>.  
﴿وَإِن كَانَ أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ لَطَّالِبِينَ﴾ يريد قوم شعيب، كانوا أصحاب غياض ورياض

(١) أخرجه أحمد في العلل ١/٣١٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٧/١١٩ - ١٢٠، وابن عساکر  
في تاريخ مدينة دمشق ٥٦/٣٧٧ - ٣٧٨.

(٢) الرسالة القشيرية ٣/١٨٣.

(٣) الوسيط ٣/٥٠ وعزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/١٨٥.

وشجرٍ مشمر<sup>(١)</sup>. والأَيْكَةُ: العَيْضَةُ<sup>(٢)</sup>، وهي جماعةُ الشجر، والجَمْعُ: الأَيْكُ<sup>(٣)</sup>.  
ويُروى أَنَّ شجرَهُم كان دَوْمًا، وهو المُقْلُ<sup>(٤)</sup>. قال النابغة:  
تَجَلُّو بِقَادِمَتِي حَمَامَةَ أَيْكَةٍ بَرْدًا أَسْفَ لِسَائِهِ بِالْإِثْمِ<sup>(٥)</sup>  
وقيل: الأَيْكَةُ: اسمُ القرية. وقيل: اسمُ البَلْدَةِ<sup>(٦)</sup>. وقال أبو عبيدة: الأَيْكَةُ وَلَيْكَةُ:  
مدينتُهُم، بمنزلة بَكَّةَ من مَكَّة<sup>(٧)</sup>. وتقدّم خبرُ شعيبٍ وقومه<sup>(٨)</sup>. ﴿وَإِنَّمَا لِيَا مَعْشَرَ ثَمُودَ﴾  
أي: بطريقٍ واضحٍ في نفسه، يعني مدينة قوم لوطٍ وبقعة أصحاب الأَيْكَةِ، يَعْتَبِرُ بهما  
من يَمُرُّ عليهما<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾

الحِجْرُ ينطلق على معانٍ: منها حِجْرُ الكعبة. ومنها: الحَرَامُ؛ قال الله تعالى:  
﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣] أي: حراماً محرّماً. والحِجْرُ: العَقْلُ؛ قال الله تعالى:  
﴿لَيْذَى حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥] والحِجْرُ: حِجْرُ القميص؛ والفتح أفصح. والحِجْرُ: الفرس

(١) ينظر الوسيط ٣/٥٠.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٩١، وتفسير الطبري ١٤/١٠٠ وعزاه إلى الضحاك، وعزاه الماوردي في النكت والعيون ٣/١٦٨ إلى مجاهد.

(٣) تفسير الرازي ١٩/٢٠٤، ولسان العرب (أيك).

(٤) تفسير الطبري ١٤/١٠٠، والنكت والعيون ٣/١٦٨، وزاد المسير ١٩/٢٠٤، وعزاه الطبري إلى قتادة، وابن الجوزي إلى ابن عباس رضي الله عنهما. والمُقْلُ: ثَمَرُ شجر الدَّوْمِ، مُقْلٌ للمعدة. القاموس (مقل)، وينظر المحرر الوجيز ٣/٣٧١، وتهذيب اللغة ١٠/٤١٥.

(٥) ديوان النابغة ص ٤٠، والقادمة؛ جمعها قوادم، وهي أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح، شبه الشاعر الشفتين لرقتهما بقادمتي حمامة، وشبه الأسنان بالبرد لشدة بياضه. القاموس المحيط (قدم)، وديوان المعاني للعسكري ١/٢٣٨.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٧٥، والصحاح (أيك).

(٧) النكت والعيون ٣/١٦٨، ولسان العرب (أيك).

(٨) ٢٨٠/٩ - ٢٨١.

(٩) تفسير الطبري ١٤/٩٨، وتفسير السمرقندي ٢/٢٢٣، والوسيط ٣/٥٠، وزاد المسير ٤/٤١٠.

الأثى. والحجر: ديارُ ثمودَ، وهو المراد هنا، أي: المدينة؛ قاله الأزهرى<sup>(١)</sup>. قتادة: وهي ما بين مكة وتبوك، وهو الوادي الذي فيه ثمود<sup>(٢)</sup>. الطبري: هي أرض بين الحجاز والشام، وهم قوم صالح<sup>(٣)</sup>. وقال: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ وهو صالح وخده، ولكن من كذب نبياً؛ فقد كذب الأنبياء كلهم؛ لأنهم على دين واحد في الأصول، فلا يجوز التفريق بينهم. وقيل: كذبوا صالحاً ومن تبعه ومن تقدمه من النبيين أيضاً<sup>(٤)</sup>. والله أعلم.

روى البخاري<sup>(٥)</sup> عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم ألا يشربوا من بئرها، ولا يستقوا منها. فقالوا: قد عجننا واستقينا. فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا الماء، وأن يظرحوا ذلك العجين.

وفي «الصحيح»<sup>(٦)</sup> عن ابن عمر أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض ثمود، فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا، ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي تردها الناقة.

وروى أيضاً عن ابن عمر قال: مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر، فقال لنا رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين؛ خذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم». ثم زجر فأسرع<sup>(٧)</sup>.

قلت: ففي هذه الآية التي بين الشارح حكمها وأوضح أمرها ثمان مسائل، استنبطها العلماء واختلف في بعضها الفقهاء:

- (١) تهذيب اللغة ٤/١٣٠ - ١٣٣، وينظر الصحاح (حجر).
- (٢) ينظر النكت والعيون ٣/١٦٩، والمحرم الوجيز ٣/٣٧٢، وزاد المسير ٤/٤١١.
- (٣) تفسير الطبري ١٠/٢٨٢، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٤١ ونسبه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.
- (٤) ينظر المحرم الوجيز ٣/٣٧٢، وتفسير البغوي ٣/٥٥، والكشاف ٢/٣٩٦، وزاد المسير ٤/٤١١.
- (٥) في صحيحه (٣٣٧٨).
- (٦) البخاري (٣٣٧٩)، ومسلم (٢٩٨١) واللفظ له.
- (٧) البخاري (٣٣٨٠)، ومسلم (٢٩٨٠): (٣٩) واللفظ له.

فأولها: كراهة دخول تلك المواضع، وعليها حمل بعض العلماء دخول مقابر الكفار؛ فإن دخل الإنسان شيئاً من تلك المواضع والمقابر فعلى الصفة التي أرشد إليها النبي ﷺ من الاعتبار والخوف والإسراع. وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا أرض بابل؛ فإنها ملعونة»<sup>(١)</sup>.

مسألة: أمر النبي ﷺ بهزق ما استقوا من بئر ثمود، وإلقاء ما عُجنَ وخَبِرَ به؛ لأجل أنه ماء سُخِط، فلم يجز الانتفاع به؛ فراراً من سُخِطِ اللّهِ. وقال: «اعلفوه الإبل»<sup>(٢)</sup>.

قلت: وهكذا حكم الماء النَّجِسِ وما يُعَجَنُ به.

وثانيها: قال مالك: إن ما لا يجوز استعماله من الطعام والشراب يجوز أن تغلفه الإبل والبهائم؛ إذ لا تكليف عليها؛ وكذلك قال في العسل النَّجِسِ: إنّه يعلفه النحل<sup>(٣)</sup>.

وثالثها: أمر رسول الله ﷺ بعلف ما عُجن بهذا الماء الإبل، ولم يأمر بطرحه كما أمر في لحوم الحُمُرِ الإنسيّة يومَ خَيْبَر<sup>(٤)</sup>؛ فدلّ على أنّ لحم الحُمُرِ أشدّ في التحريم وأغلظ في التنجيس. وقد أمر رسول الله ﷺ بكسب الحجّام أن يعلف الناضح والرقيق، ولم يكن ذلك لتحريم ولا تنجيس. قال الشافعي: ولو كان حراماً لم يأمره أن يطعمه رقيقه؛ لأنه متعبّد فيه كما تُعبّد في نفسه<sup>(٥)</sup>.

(١) المفهم ٣٥٢/٧، ولم نقف عليه بهذا اللفظ، بل الوارد ما أخرجه أبو داود (٤٩٠) عن علي ﷺ قال: إن حبيبي ﷺ نهاني أن أصلي في المقبرة، ونهاني أن أصلي في أرض بابل فإنها ملعونة. وضعف إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١/٥٣٠. وسيرد ص ٢٤٥ من هذا الجزء وعلقه البخاري في الصلاة، باب ٥٣، بلفظ: ويُذكر أن علياً ﷺ كره الصلاة بخسف بابل.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١١١٢، ولم نقف عليه بهذا اللفظ، ولعله ذكره بالمعنى، وسلف الحديث قريباً.

(٣) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٣/١١٢١.

(٤) أخرجه البخاري (٤٢١٥)، ومسلم (٥٦١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) ينظر اختلاف الحديث للشافعي (بهاشم الأم) ٧/٣٤٤ - ٣٤٥.

ورابعها: في أمره ﷺ بَعَلْفِ الْإِبِلِ الْعَجِينِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ حَمْلِ الرَّجْلِ النِّجَاسَةَ إِلَى كَلَابِهِ لِأَكْلُوهَا؛ خِلَافاً لِمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِنَا، وَقَالَ: تُطَلَّقُ الْكَلَابُ عَلَيْهَا وَلَا يَحْمِلُهَا إِلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>.

وخامسها: أمره ﷺ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْ بئرِ النَّاقَةِ دَلِيلٌ عَلَى التَّبَرُّكِ بِأَثَارِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِنْ تَقَادَمَتْ أَعْصَارُهُمْ، وَخَفِيَتْ أَثَارُهُمْ؛ كَمَا أَنَّ فِي الْأَوَّلِ دَلِيلًا عَلَى بُغْضِ أَهْلِ الْفَسَادِ، وَذَمِّ دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ. هَذَا، وَإِنْ كَانَ التَّحْقِيقُ أَنَّ الْجَمَادَاتِ غَيْرُ مَوَازِينِ، لَكِنَّ الْمَقْرُونَ بِالْمَحْبُوبِ مَحْبُوبٌ، وَالْمَقْرُونَ بِالْمَكْرُوهِ الْمَبْغُوضِ مَبْغُوضٌ؛ كَمَا قَالَ كَثِيرٌ<sup>(٢)</sup>:

أَحَبُّ لِحَبِّهَا السُّودَانَ حَتَّى أَحَبُّ لِحَبِّهَا سُودَ الْكَلَابِ  
وَمَا قَالَ آخَرُ:

أَمْرٌ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارَا  
وَمَا تَلِكِ الدِّيَارُ شَغَفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبٌّ مَن سَكَنَ الدِّيَارَا<sup>(٣)</sup>

وسادسها: مَنَعَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الصَّلَاةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ، وَقَالَ: لَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ فِيهَا؛ لِأَنَّهَا دَارُ سُخْطٍ، وَبِقَعَّةٍ غَضَبٍ<sup>(٤)</sup>. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: فَصَارَتْ هَذِهِ الْبِقَعَةُ مُسْتَثْنَاءً مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَظَهْوراً»<sup>(٥)</sup> فَلَا يَجُوزُ التَّيَّمُّ بِتَرَابِهَا، وَلَا الْوُضُوءُ مِنْ مَائِهَا، وَلَا الصَّلَاةُ فِيهَا.

وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى أَنْ يُصَلَّى فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ: فِي الْمَرْبِطَةِ، وَالْمَجْزَرَةِ، وَالْمَقْبَرَةِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَفِي الْحَمَّامِ، وَفِي مَعَاظِنِ الْإِبِلِ،

(١) المفهم ٣٥٥/٧.

(٢) المفهم ٣٥٥/٧، وسلف ٦/٣.

(٣) الشعر لقيس بن الملوح، وهو في ديوانه ص ١٧٠، وفيه: وما حبُّ الديار، بدل: وما تلك الديار.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١١٢١/٣.

(٥) سلف ٢٨٣/٢.

وفوق بيتِ الله. [قال:] وفي الباب عن أبي مرثد، وجابر، وأنس، [و] حديث ابن عمر إسناده ليس بذاك القوي، وقد تكلّم في زيد بن جبير من قبل حفظه<sup>(١)</sup>.

وقد زاد علماؤنا: الدار المغصوبة، والكنيسة، والبيعة، والبيت الذي فيه تماثيل، والأرض المغصوبة، أو موضعاً تستقبل فيه نائماً، أو وجه رجل، أو جداراً عليه نجاسة. قال ابن العربي<sup>(٢)</sup>: ومن هذه المواضع ما مُنِعَ لحقّ الغير، ومنه ما مُنِعَ لحقّ الله تعالى، ومنه ما مُنِعَ لأجل النجاسة المحقّقة أو لغلبتها؛ فما مُنِعَ لأجل النجاسة إن فُرش فيه ثوب طاهر كالحمام والمقبرة فيها أو إليها، فإنّ ذلك جائز في «المدونة»<sup>(٣)</sup>. وذكر أبو مصعب عنه الكراهة. وفرّق علماؤنا بين المقبرة القديمة والجديدة لأجل النجاسة، وبين مقبرة المسلمين والمشركين؛ لأنها دار عذاب، وبقعة سخط؛ كالحجر. وقال مالك في «المجموع»: لا يُصلّي في أعطان الإبل وإن قرش ثوباً. كأنه رأى لها علتين: الاستتار بها، ونفازها، فتفسد على المصلّي صلاته، فإن كانت واحدة فلا بأس؛ كما كان النبي ﷺ يفعل؛ في الحديث الصحيح<sup>(٤)</sup>.

وقال مالك: لا يصلّي على بساط فيه تماثيل إلا من ضرورة. وكره ابن القاسم الصلاة إلى القبلة فيها تماثيل، وفي الدار المغصوبة، فإن فعل أجزاءه. وذكر بعضهم عن مالك أنّ الصلاة في الدار المغصوبة لا تجزئ.

قال ابن العربي<sup>(٥)</sup>: وذلك عندي بخلاف الأرض، فإنّ الدار لا تُدخّل إلا بإذن، والأرض وإن كانت ملكاً فإنّ المسجدية فيها قائمة لا يُبطلها الملك.

(١) سنن الترمذي (٣٤٦) و(٣٤٧)، وما بين حاصرتين منه. وسيرد الكلام عليه.

(٢) في أحكام القرآن ١١٢٢/٣، وما قبله منه.

(٣) ٧٦/١.

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٧)، ومسلم (٥٠٢) عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه كان يُعرض راحلته فيُصلّي إليها، قلت: أفرأيت إذا هيّت الركاب؟ قال: كان يأخذ هذا الرجل فيعدّله، فيصلّي إلى آخرته، أو قال: مؤخره. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفعله.

(٥) في أحكام القرآن ١١٢٢/٣.

قلت: الصحيح - إن شاء الله - الذي يدل عليه النظرُ والخبرُ أنَّ الصلاةَ بكلِّ موضعٍ طاهرٍ جائزةٌ صحيحةٌ. وما رُوِيَ من قوله ﷺ: «إِنَّ هَذَا وادٍ بِهِ شَيْطَانٌ»<sup>(١)</sup> وقد رواه معمر عن الزهريِّ فقال: «واخرجوا عن المَوْضِعِ الذي أصابتم فيه الغفلة»<sup>(٢)</sup>. وقولِ عليٍّ: نهاني رسولُ الله ﷺ أن أصليَ بأرضِ بابلٍ؛ فإنها ملعونةٌ. وقوله عليه السلام حين مرَّ بالحجر من ثمودَ: «لا تَدْخُلُوا على هؤلاءِ المَعذِبِينَ إلا أن تكونوا بأكين» ونهيه عن الصلاةِ في معاطنِ الإبلِ<sup>(٣)</sup>، إلى غير ذلك مما في هذا الباب، فإنه مردودٌ إلى الأصولِ المجتمعِ عليها، والدلائلِ الصحيحِ مجيئها.

قال الإمام الحافظ أبو عمر<sup>(٤)</sup>: المختار عندنا في هذا البابِ أن ذلك الوادي وغيره من بقاع الأرضِ جائزٌ أن يُصلىَ فيها كلها ما لم تكن فيها نجاسةٌ متيقنةٌ تمنع من ذلك، ولا معنى لاعتلالٍ من اعتلَّ بأن موضعَ النومِ عن الصلاةِ موضعُ شيطانٍ، وموضعٌ ملعونٌ لا يجب أن تقام فيه الصلاةُ.

وكلُّ ما رُوِيَ في هذا الباب من النهي عن الصلاةِ في المقبرة، وبأرضِ بابلٍ، وأعطانِ الإبلِ، وغير ذلك مما في هذا المعنى، كلُّ ذلك عندنا منسوخٌ ومدفوعٌ بعمومِ قوله ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَطَهْرًا»<sup>(٥)</sup>، وقوله ﷺ مخبراً أنَّ ذلك من فضائله ومما حُصِّ به.

وفضائله عند أهل العلم لا يجوز عليها التَّنَسُّخُ ولا التَّبْدِيلُ ولا النَقْصُ، قال ﷺ: «أوتيتُ خمساً»<sup>(٦)</sup> وقد روي: ستاً<sup>(٧)</sup>، وقد روي: ثلاثاً<sup>(٨)</sup>، و: أربعاً<sup>(٩)</sup>، وهي تنتهي

(١) أخرجه بهذا اللفظ مالك في الموطأ ١٤/١ عن زيد بن أسلم مرسلًا وهو عند مسلم ٦٨٠ (٣١٠) بنحوه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٦) من حديث أبي هريرة ؓ، إلا أنه قال: «وتحولوا» بدل: «واخرجوا».

(٣) سلفت هذه الأحاديث قريباً.

(٤) في التمهيد ٥/٢١٧ - ٢١٨.

(٥) سلف ٤/٢٥٨.

(٦) هو الحديث السابق.

(٧) أخرجه مسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٨) أخرجه مسلم (٥٢٢) من حديث حذيفة ؓ.

(٩) أخرجه أحمد (١٣٦١) من حديث علي ؓ.

إلى أزيد من تسع<sup>(١)</sup>، قال فيهن: «لم يؤتَهَنَّ أحدٌ قبلي: بُعثت إلى الأحمر والأسود، ونصرت بالرُّعبِ، وجعلت أمتي خيرَ الأمم، وأجَلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً، وأوتيتُ الشفاعةَ، وبُعثت بجوامعِ الكَلِمِ، وبيننا أنا نائمٌ أُتيتُ بمفاتيحِ الأرضِ، فوضعتُ في يدي، وأعطيتُ الكوثر، وحُتم بي النبيون». رواها جماعةٌ من الصحابة<sup>(٢)</sup>. وبعضُهم يذكرُ بعضها، ويذكرُ بعضهم ما لم يذكرُ غيره، وهي صحاحُ كُلِّها. وجائزٌ على فضائله الزيادة، وغيرُ جائزٍ فيها النقصانُ؛ ألا ترى أنه كان عبداً قبل أن يكون نبياً، ثم كان نبياً قبل أن يكون رسولاً؛ وكذلك روي عنه<sup>(٣)</sup>. وقال: «ما أدري ما يُفعل بي ولا بكم» ثم نزلت: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾<sup>(٤)</sup> [الفتح: ٢]. وسمع رجلاً يقول له: يا خيرَ البرية؛ فقال: «ذاك إبراهيم»<sup>(٥)</sup>، وقال: «لا يقولنَّ أحدكم: أنا خيرٌ من يونسَ بنِ مَتَّى»<sup>(٦)</sup>، وقال: «السيد يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام»<sup>(٧)</sup> ثم قال بعد ذلك كله: «أنا

(١) في (د) و(ظ): سبع، وينظر اعتقاد أهل السنة والجماعة ٨٦٢/٤ وما بعدها، وإكمال المعلم ٤٣٨/٢، وفتح الباري ٤٣٩/١.

(٢) رُويت هذه الفضائل في أحاديث متفرقة عن عدد من الصحابة في «الصحاحين» كما مرَّ آنفاً، دون قوله: «وأعطيت الكوثر» فقد أخرجه البزار (١٤٧/٣) كشف الأستار، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٤٤٣) من حديث أبي هريرة ؓ. وجودُ إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٩/٨. وينظر التمهيد ٢٢٣/٥، والاستذكار ٣٣٨/١ - ٣٣٩.

(٣) أخرج عبد الرزاق ٢/٢٠٥ عن عطاء قال: وبيننا النبي ﷺ يُعلمُ التشهد فقال رجل: وأشهد أن محمداً رسوله وعبده، فقال النبي ﷺ: قد كنت عبداً قبل أن أكون رسولاً، قل: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وينظر الاستذكار ٣٣٦/١.

(٤) أسباب النزول للواحد ص ٤٠٣ - ٤٠٤ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٦٩) من حديث أنس ؓ.

(٦) أخرجه أحمد (٤١٩٧)، والبخاري (٣٤١٢) من حديث ابن مسعود ؓ.

(٧) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٠٠٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٨٩٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٨/٣ و ٢٠٢/٨: فيه: نافع أبو هرزم، وهو ضعيف، أو: متروك.

سَيِّدٌ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرُ»<sup>(١)</sup>. ففضائله ﷺ لم تَزَلْ تزدادُ إلى أن قبضه الله؛ فمن هاهنا قلنا: إنه لا يجوزُ عليها التَّسْنُحُ ولا الاستثناء ولا النقصان، وجاءتُ فيها الزيادة<sup>(٢)</sup>.

وبقوله ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهوراً»<sup>(٣)</sup> أجزنا الصلاة في المقبرة، والحمَّام، وفي كلِّ موضعٍ من الأرض إذا كان طاهراً من الأنجاس<sup>(٤)</sup>. وقال ﷺ لأبي ذرٍّ: «حيثما أذركك الصلاة فصل؛ فإنَّ الأرضَ كلَّها مسجدٌ» ذكره البخاري<sup>(٥)</sup>، ولم يَخْصَّ موضعاً من موضع.

وأما مَنْ احتجَّ بحديثِ ابنِ وهبٍ قال: أخبرني يحيى بنُ أيوبَ، عن زيدِ بنِ جبيرة، عن داودَ بنِ حُصَيْنٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ - حديث الترمذي الذي ذكرناه<sup>(٦)</sup> - فهو حديث انفردَ به زيدُ بنُ جبيرة، وأنكروه عليه، ولا يُعرف هذا الحديثُ مسنداً إلا برواية يحيى بنِ أيوبَ، عن زيدِ بنِ جبيرة. وقد كتب الليثُ بنُ سعدٍ إلى عبدِ الله بنِ نافعٍ<sup>(٧)</sup> مولى ابنِ عمرَ يسأله عن هذا الحديث؟ فكتب إليه عبدُ الله بنُ نافعٍ: لا أعلم من حدَّث بهذا عن نافعٍ إلا قد قال عليه الباطل. ذكره الحُلوانِيُّ عن سعيدِ بنِ أبي مريم، عن الليثِ، وليس فيه تخصيصُ مقبرة المشركينَ من غيرها<sup>(٨)</sup>.

وقد رُوِيَ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ قال: نهاني حبيبي ﷺ أن أصلي في المقبرة،

(١) أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري، وهو عند مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة دون قوله: «ولا فخر».

(٢) التمهيد ٥/٢١٨ - ٢٢٠.

(٣) سلف ٤/٢٥٨.

(٤) التمهيد ٥/٢٢٠.

(٥) في صحيحه (٣٤٢٥)، وأخرجه أيضاً مسلم (٥٢٠).

(٦) وهو أن رسول الله ﷺ نهى أن يصلى في سبعة مواطن: في المزبلة، والمجزرة، والمقبرة،... الحديث، وقد سلف قريباً.

(٧) ليست في النسخ الخطية (في الموضعين)، والمثبت من (م)، والتمهيد ٥/٢٢٦.

(٨) التمهيد ٥/٢٢٥ - ٢٢٦.

ونهانني أن أصلي في أرض بابل؛ فإنها ملعونة<sup>(١)</sup>. وإسناده ضعيف مجتمعت على ضعفه، وأبو صالح الذي رواه عن علي هو سعيد بن عبد الرحمن الغفاري، مصري<sup>(٢)</sup> ليس بمشهور، ولا يصح له سماع عن علي، ومن دونه مجهولون لا يعرفون.

قال أبو عمر<sup>(٣)</sup>: وفي الباب عن علي من قوله غير مرفوع حديث حسن الإسناد، رواه الفضل بن دكين قال: حدثنا المغيرة بن أبي الحر الكندي، قال: حدثني أبو العنيس حُجر بن عَنَس قال: خرجنا مع علي إلى الحرورية، فلما جاوزنا سوراً<sup>(٤)</sup> وقع بأرض بابل، قلنا: يا أمير المؤمنين أمسيت، الصلاة الصلاة؛ فأبى أن يكلم أحداً. قالوا: يا أمير المؤمنين، قد أمسيت. قال: بلى، ولكن لا أصلي في أرض خَسَفَ الله بها<sup>(٥)</sup>. والمغيرة بن أبي الحر: كوفي ثقة؛ قاله يحيى بن معين وغيره. وحُجر بن عنيس من كبار أصحاب علي<sup>(٦)</sup>.

وروى الترمذي<sup>(٧)</sup> عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام». قال الترمذي: رواه سفيان الثوري، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النبي ﷺ مُرسلاً، وكأنه أثبت وأصح.

(١) ذكره المصنف ص ٢٣٩ من هذا الجزء بلفظ: «لا تدخلوا أرض بابل فإنها ملعونة».

(٢) في النسخ: بصري، والتصويب من التاريخ الكبير للبخاري ٣/٤٩١، والجرح والتعديل للرازي ٤/٣٩-٤٠، والتمهيد ٥/٢٢٤.

(٣) في التمهيد ٥/٢٢٣ - ٢٢٤، وما قبله منه.

(٤) في النسخ: سوريا، والمثبت من التمهيد ٥/٢٢٤، قال الحموي في معجم البلدان ٣/٢٧٨: سُورًا: موضع بالعراق من أرض بابل.

(٥) هكذا أورده ابن عبد البر في التمهيد ٥/٢٢٤، وأخرجه عبد الرزاق (١٦٢٣)، وابن أبي شيبة ٢/٣٧٧، ومن طريقه البغدادي في تاريخ بغداد ٨/٢٧٤ بنحوه. قال ابن حجر في «تغليق التعليق» ٢/٢٣١: إسناده حسن. اهـ. وسلف مرفوعاً قريباً.

(٦) التمهيد ٥/٢٢٤.

(٧) في السنن (٣١٧).

قال أبو عمر<sup>(١)</sup>: فسقط الاحتجاجُ به عند من لا يرى المرسلَ حجَّةً، ولو ثبت كان الوجهُ ما ذكرنا. ولسنا نقولُ كما قال بعضُ المنتحلين لمذهبِ المدنيين: إنَّ المقبرةَ في هذا الحديثِ وغيره أُريدَ بها مقبرةُ المشركينَ خاصَّةً؛ فإنَّه قال: «المقبرةُ والحمامُ» بالألفِ واللامِ؛ فغيرُ جائزٍ أن يُردَّ ذلك إلى مقبرةٍ دون مقبرةٍ، أو حمامٍ دون حمامٍ بغيرِ توقيفٍ عليه، فهو قولٌ لا دليلَ عليه من كتابٍ ولا سُنَّةٍ ولا خبرٍ صحيحٍ، ولا مدخلَ له في القياسِ، ولا في المعقولِ، ولا دَلٌّ عليه فعوى الخطاب، ولا خُرَجَ عليه الخبرُ.

ولا يخلو تخصيصُ مَنْ خصَّ مقبرةَ المشركينَ من أحدٍ وجهين: إما أن يكونَ من أجلِ اختلافِ الكفَّارِ إليها بأقدامهم، فلا معنى لخصوصِ المقبرةِ بالذكرِ؛ لأنَّ كلَّ موضعٍ هم فيه بأجسامهم وأقدامهم فهو كذلك، وقد جَلَّ رسولُ اللهِ ﷺ أن يتكلَّم بما لا معنى له. أو يكونَ من أجلِ أنَّها بقعةٌ سُخِطَ، فلو كان كذلك ما كان رسولُ اللهِ ﷺ ليُبيِّنَ مسجدهَ في مقبرةِ المشركينَ، وينسِها، ويسويها، ويبيِّنَ عليها<sup>(٢)</sup>.

ولو جاز لقائلٍ أن يَحُصَّ من المقابرِ مقبرةٌ للصلاةِ فيها، لكانت مقبرةُ المشركينَ أولى بالخصوصِ والاستثناءِ من أجلِ هذا الحديثِ. وكلُّ مَنْ كره الصلاةَ في المقبرةِ لم يَحُصَّ مقبرةً من مقبرةٍ؛ لأنَّ الألفَ واللامَ إشارةً إلى الجنسِ لا إلى معهودٍ، ولو كان بين مقبرةِ المسلمينَ والمشركينَ فرقٌ لبيَّنه ﷺ ولم يُهمَلْ؛ لأنَّه بُعثَ مبيِّناً. ولو سَأعَ لجاهلٍ أن يقولَ: مقبرةُ كذا؛ لجاز لآخرٍ أن يقولَ: حمامُ كذا؛ لأنَّ في الحديثِ المقبرةُ والحمامُ. وكذلك قوله: المزبلةُ والمجزرةُ؛ غيرُ جائزٍ أن يُقالَ: مزبلةُ كذا، ولا مَجزرةُ كذا، ولا طريقُ كذا؛ لأنَّ التحكُّمَ في دينِ الله غيرُ جائزٍ<sup>(٣)</sup>.

وأجمع العلماءُ على أنَّ التيمُّمَ على مقبرةِ المشركينَ إذا كان الموضعُ طيباً طاهراً

(١) التمهيد ٥/ ٢٢٥ - ٢٢٧.

(٢) التمهيد ٥/ ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٣) التمهيد ٥/ ٢٢٣ - ٢٢٤.

نظيفاً جائزاً. وكذلك أجمعوا على أن من صَلَّى في كنيسة أو بيعة على موضع طاهر، أن صلاته ماضية جائزة<sup>(١)</sup>. وقد تقدّم هذا في سورة براءة<sup>(٢)</sup>.

ومعلوم أن الكنيسة أقرب إلى أن تكون بقعة سُخِطَ مِنَ المَقْبَرَةِ؛ لأنها بُعِثَتْ يُعْصَى اللهُ وَيُكْفَرُ بِهِ فِيهَا، وليس كذلك المقبرة<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت السُّنَّةُ باتِّخَاذِ البَيْعِ وَالكُنَائِسِ مَسَاجِدَ. روى النَّسَائِيُّ<sup>(٤)</sup> عن طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: خَرَجْنَا وَقَدْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَبَايَعَنَا وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ بَارَضْنَا بِبَيْعَةٍ لَنَا، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. وَفِيهِ: «إِذَا أُتِيتُمْ أَرْضَكُمْ، فَاسْكُرُوا بِبَيْعَتِكُمْ وَاتَّخَذُوهَا مَسْجِدًا». وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ<sup>(٥)</sup> عَنْ عِثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَجْعَلَ مَسْجِدَ الطَّائِفِ حَيْثُ كَانَتْ طَوَاعِيئُهُمْ. وَوَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «بِرَاءة». وَحَسْبُكَ بِمَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مَبْنًى فِي مَقْبَرَةِ الْمُشْرِكِينَ؛ وَهُوَ حُجَّةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ كَرِهَ الصَّلَاةَ فِيهَا.

وَمِمَّنْ كَرِهَ الصَّلَاةَ فِي المَقْبَرَةِ، سِوَاكَ كَانَتْ لِمُسْلِمِينَ أَوْ مُشْرِكِينَ؛ الثَّوْرِيُّ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُمْ. وَعِنْدَ الثَّوْرِيِّ: لَا يُعِيدُ. وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: أَجْزَأُهُ إِذَا صَلَّى فِي المَقْبَرَةِ فِي مَوْضِعٍ لَيْسَ فِيهِ نَجَاسَةٌ؛ لِلْأَحَادِيثِ المَعْلُومَةِ<sup>(٦)</sup> فِي ذَلِكَ، وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا فِي بَيْوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»<sup>(٧)</sup>، وَلِحَدِيثِ أَبِي مَرْثَدٍ الغَنَوِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تُصَلُّوا إِلَى القُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا»<sup>(٨)</sup>. وَهَذَا حَدِيثَانِ ثَابِتَانِ مِنْ جِهَةِ الإِسْنَادِ، وَلَا حُجَّةَ فِيهِمَا؛

(١) التمهيد ٥/٢٢٩.

(٢) عند الآية (١٠٧).

(٣) التمهيد ٥/٢٢٧.

(٤) في المجتبى ٢/٣٨.

(٥) في السنن (٤٥٠)، وسلف ٨/٢٥٥.

(٦) في (د) و(ز): المعلولة، وكذا جاء في التمهيد ٥/٢٢٩.

(٧) أخرجه مسلم (٧٧٧) (٢٠٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٨) أخرجه مسلم (٩٧٢) (٩٨).

لأنهما محتملانٍ للتأويل، ولا يجبُ أن يمتنع من الصلاة في كلِّ موضعٍ طاهرٍ إلا بدليلٍ لا يحتمل تأويلاً. ولم يُفَرِّق أحدٌ من فقهاء المسلمين بين مقبرة المسلمين والمشركين إلا ما حكيناه من خَطَلٍ<sup>(١)</sup> القول الذي لا يُسْتَغَل بمثله، ولا وجه له في نظر، ولا في صحيح أثرٍ<sup>(٢)</sup>.

وثامنها<sup>(٣)</sup>: الحائِطُ يُلْقَى فِيهِ التَّنُّ وَالْعِدْرَةُ لِيُكْرَمَ<sup>(٤)</sup>، فلا يُصَلَّى فِيهِ حَتَّى يُسْقَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ عَنِ مَجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَائِطِ يُلْقَى فِيهِ الْعِدْرَةُ وَالتَّنُّ قَالَ: «إِذَا سُقِيَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَصَلَّ فِيهَا». وَخَرَّجَهُ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عَمْرٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْحَيْطَانِ الَّتِي تُلْقَى فِيهَا الْعِدْرَاتُ وَهَذَا الزُّبْلُ: أَيْصَلَّى فِيهَا؟ فَقَالَ: إِذَا سُقِيَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَصَلَّ فِيهَا. رَفَعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. اِخْتَلَفَا فِي الْإِسْنَادِ<sup>(٥)</sup>، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّنَّهُمْ أَيُّنَّا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّنَّهُمْ أَيُّنَّا﴾ أي: بأيائنا. كقوله: ﴿إِنَّا عَدَاءُ نَارٍ﴾ [الكهف: ٦٢] أي: بغدائنا. والمراد: الناقة، وكان فيها آياتٌ جمَّةٌ: خروجها من الصخرة، ودنوُّ نِجَاجِهَا عِنْدَ خُرُوجِهَا، وَعِظْمُهَا حَتَّى لَمْ تُشَبَّهْهَا نَاقَةٌ، وَكَثْرَةُ لَبِنِهَا حَتَّى تَكْفِيَهُمْ جَمِيعاً<sup>(٦)</sup>. وَيَحْتَمَلُ أَنَّهُ كَانَ لِصَالِحِ آيَاتِ أُخْرُ سِوَى النَّاقَةِ، كَالْبَثْرِ وَغَيْرِهِ<sup>(٧)</sup>. ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أي: لم يعتبروا.

(١) الخَطَلُ: المنطق الفاسد المضطرب. الصحاح (خطل).

(٢) التمهيد ٥/٢٢٩ - ٢٣٠.

(٣) كذا في النسخ، ولم يذكر السابعة.

(٤) كَرَمَ أَرْضَهُ كَرَمًا: دَمَلَهَا (أي: أصلحها) بالسرِّقين، فزكت وطابت. معجم متن اللغة (كرم).

(٥) الدارقطني (٨٨٠) و(٨٨١).

(٦) الوسيط ٣/٥٠، وزاد المسير ٤/٤١١.

(٧) تفسير البغوي ٣/٥٦.

قوله تعالى: ﴿وَكَاوُوا يَتَّحُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُوْتًا مَّامِينًا ﴿٨٧﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴿٨٨﴾ فَأَآغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٩﴾﴾

التَّحُّتُ في كلام العرب: البرِّي والتَّجْر. نَحْتَه يَنْحِتُه - بالكسر - نحتاً، أي: براه. والتُّحَاتة: البراية. والمِنْحَت: ما يُنْحَتُ به<sup>(١)</sup>. وفي النزيل: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصفات: ٩٥] أي: تَنْجُرُونَ وتَضْنَعُونَ. فكانوا يتخذون من الجبال بيوتاً لأنفسهم بشدة قوتهم. ﴿مَّامِينًا﴾ أي: من أن تَسْقُطَ عليهم أو تُخْرَب. وقيل: آمينين من الموت. وقيل: من العذاب<sup>(٢)</sup>. ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ﴾ أي: في وقت الصبح، وهو نصب على الحال. وقد تقدّم ذكرُ الصيحة في هود والأعراف<sup>(٣)</sup>. ﴿فَمَا آغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الأموال والحُصُون في الجبال، ولا ما أعطوه من القوة<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ فَأَصْفَحْ أَصْفَحَ الْجَمِيلِ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: للزوال والفناء. وقيل: أي: لأجازي المحسن والمسيء<sup>(٥)</sup>؛ كما قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾ [النجم: ٣١].

﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ﴾ أي: لكائنة فيُجْزَى كلُّ بعمله. ﴿فَأَصْفَحَ أَصْفَحَ الْجَمِيلِ﴾ مثل: ﴿وَأَهْرَجْتَهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ [المزمل: ١٠] أي: تجاوز عنهم يا محمد، واغف عفواً حسناً؛ ثم نُسِخَ بالسيف<sup>(٦)</sup>. قال قتادة: نسخه قوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ

(١) الصحاح (نحت).

(٢) النكت والعيون ١٦٩/٣.

(٣) ١٥٦/١١ و ٢٧١/٩ - ٢٧٢.

(٤) ينظر زاد المسير ٤/٤١٢، وتفسير الرازي ١٩/٢٠٥.

(٥) ينظر تفسير البغوي ٣/٥٦.

(٦) ينظر النكت والعيون ٣/١٧٠، وتفسير الرازي ١٩/٢٠٦.

تَفْتَمُوهُمْ ﴿١﴾ [النساء: ٩١]. وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «لقد جئتكم بالذَّبْحِ، وبُعِثْتُ بِالْحِصَادِ، ولم أبعث بالزراعة»؛ قاله عكرمة ومجاهد<sup>(٢)</sup>. وقيل: ليس بمنسوخ، وأنه أمر بالصفح في حق نفسه فيما بينه وبينهم. والصفح: الإعراض؛ عن الحسن وغيره<sup>(٣)</sup>. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ﴾ أي: المقدر للخلق والأخلاق. ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأهل الوفاق والتفاهق.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾

اختلف العلماء في السبع المثاني؛ فقيل: الفاتحة؛ قاله علي بن أبي طالب، وأبو هريرة، والربيع بن أنس، وأبو العالية، والحسن وغيرهم<sup>(٤)</sup>، وزوي عن النبي ﷺ من وجوه ثابتة، من حديث أبي بن كعب، وأبي سعيد بن المعلّى. وقد تقدّم في تفسير الفاتحة<sup>(٥)</sup>.

وخرّج الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني». قال: هذا حديث حسن صحيح. وهذا نص، وقد تقدّم في الفاتحة<sup>(٦)</sup>. وقال الشاعر:

نَشَدْتُكُمْ بِمُنْزِلِ الْقُرْآنِ      أم الكتاب السبع من مثاني<sup>(٧)</sup>  
وقال ابن عباس: هي السبع الطول: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة،

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٦/١٤، وأورده النحاس في التاسخ والمنسوخ ٤٨٢/٢.

(٢) النكت والعيون ٣/١٧٠، وأخرجه أيضاً ابن سعد ١٠٥/١ عن مجاهد، والطبري في تفسيره ١٠٧/١٤ عن سفيان بن عيينة، وهو ضعيف لإرساله.

(٣) النكت والعيون ٣/١٧٠.

(٤) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره ١١٦/١٤، وينظر النكت والعيون ٣/١٧٠، وزاد المسير ٤/٤١٣.

(٥) سلف ١ - ١٦٦ - ١٦٧.

(٦) الترمذي (٣١٢٤)، وسلف ١/١٧٢.

(٧) أورده أبو عبيدة في مجاز القرآن ص ٣٥٤/١، والماوردي في النكت والعيون ١/٢٦ و ٣/١٧٠ ولم ينسبها.

والأنعام، والأعراف، والأنفال والتوبة معاً؛ إذ ليس بينهما التسمية<sup>(١)</sup>. روى النسائي<sup>(٢)</sup>: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قَالَ: السَّبْعُ الطُّوَلُ.

وسميت مثنائي؛ لأن العبر والأحكام والحدود ثنيت فيها. وأنكر قوم هذا، وقالوا: أنزلت هذه الآية بمكة، ولم ينزل من الطول شيء إذ ذاك. وأجيب بأن الله تعالى أنزل القرآن إلى السماء الدنيا، ثم أنزله منها نجوماً، فما أنزله إلى السماء الدنيا فكأنما آتاه محمداً ﷺ وإن لم ينزل عليه بعد<sup>(٣)</sup>.

وممن قال إنها السبع الطول: عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وسعيد بن جبیر، ومجاهد<sup>(٤)</sup>. وقال جرير<sup>(٥)</sup>:

جزى الله الفرزدق حين يُمسي مضيعاً للمفصل والمثاني  
وقيل: المثنائي: القرآن كله؛ قال الله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣].

هذا قول الضحاك وطاوس وأبي مالك<sup>(٦)</sup>، وقاله ابن عباس<sup>(٧)</sup>.

وقيل له: مثنائي؛ لأن الأنبياء والقصاص ثنيت فيه<sup>(٨)</sup>. وقالت صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله ﷺ:

فقد كان نوراً ساطعاً يُهتدى به يُخصُّ بتنزيل المثنائي المعظم<sup>(٩)</sup>

(١) المحرر الوجيز ٣/٣٧٣، وتفسير الرازي ١٩/٢٠٨.

(٢) المجتبى ٢/١٤٠، وأخرجه أيضاً أبو داود (١٤٥٩)، وسلف ١/١٧٥.

(٣) ينظر تفسير السمرقندي ٢/٢٢٤، وزاد المسير ٤/٤١٤، وتفسير الرازي ١٩/٢٠٨.

(٤) أخرج قولهم الطبري في التفسير ١٤/١٠٧ - ١٠٩.

(٥) ديوانه ص ٤٦٦، وفيه: لحي، بدل: جزى.

(٦) في (د) و(ز) و(م): وأبو: والمثبت من (ظ).

(٧) أخرج قولهم الطبري في التفسير ١٤/١٢٠ - ١٢١، وينظر النكت والعيون ٣/١٧٠ - ١٧١، وزاد المسير ٤/٤١٤.

(٨) ينظر تفسير الطبري ١٤/١٢٥، والنكت والعيون ٣/١٧١، والمحرر الوجيز ٣/٣٧٣.

(٩) أورده الماوردي في النكت والعيون ٣/١٧١.

أي: القرآن.

وقيل: المراد بالسَّبْعِ المثاني: أقسامُ القرآن؛ من الأمرِ والنهي، والتبشيرِ والإنذار، وضَرْبِ الأمثال، وتعددِ نَعَمٍ، وأنباءِ قرونٍ؛ قاله زيادُ بنُ أبي مريم<sup>(١)</sup>.  
والصحيحُ الأوَّلُ؛ لأنه نصٌّ. وقد قدَّمنا في الفاتحة<sup>(٢)</sup> أنه ليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع من تسمية غيرها بذلك؛ إلا أنه إذا وردَ عن النبي ﷺ؛ وثبتَ عنه نصٌّ في شيء لا يحتمل التأويل؛ كان الوقوفُ عنده<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ فيه إضمارٌ، تقديره: وهو أنَّ الفاتحةَ القرآنُ العظيمُ؛ لاشتغالها على ما يتعلَّقُ بأصولِ الإسلام. وقد تقدَّم في الفاتحة<sup>(٤)</sup>. وقيل:  
الواو مُفحمة، التقدير: ولقد آتيناكَ سبعاً من المثاني القرآن العظيم<sup>(٥)</sup>. ومنه قولُ  
الشاعر:

إلى المَلِكِ الْقَرْمِ وابنِ الْهُمامِ      وليثِ الْكَتِيبَةِ في الْمُزْدَحَمِ<sup>(٦)</sup>  
وقد تقدَّم عند قوله: ﴿حَفِظُوا عَلَ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾<sup>(٧)</sup> [البقرة: ٢٣٨].

قوله تعالى: ﴿لَا تَدْنَنَّ عَيْنَكَ إِلَيْكَ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ  
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

فيه مسألتان:

(١) النكت والعيون ٣/١٧١، وأخرجه عنه الطبري في التفسير ١٤/١١٩ - ١٢٠، وينظر زاد المسير ٤١٤/٤.

(٢) ١٧٥/١.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٤/١٢١.

(٤) ١٧٣/١.

(٥) تفسير البغوي ٣/٥٦.

(٦) لم نقف على قائله، وأورده ابن الأنباري في الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٤٦٩، والزمخشري في الكشاف ١/١٣٣، والبغدادي في خزانة الأدب ١/٤٥١ و ١٠٧/٥ و ٩١/٦ ولم ينسوه.

(٧) ١٨١/١، عند القول التاسع في تعيين الصلاة الوسطى.

الأولى: قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ المعنى: قد أَعْيَيْتُكَ بالقرآنِ عما في أيدي الناس، فإنه: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن»<sup>(١)</sup>؛ أي: ليس منا من رأى أنه ليس يَغْنَى بما عنده من القرآن حتى يطمح بصره إلى زخارف الدنيا، وعنده معارف المولى<sup>(٢)</sup>.

يقال: إنه وافى سبُعُ قوافل من البُصْرَى<sup>(٣)</sup> وأذرعَات<sup>(٤)</sup> ليهود قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ في يومٍ واحدٍ، فيها البرُّ<sup>(٥)</sup> والطَّيْبُ والجوهرُ وأمتعةُ البحر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا؛ لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ النَّسَائِطِ﴾ أي: فهي خيرٌ لكم من القوافلِ السَّبْعِ، فلا تَمُدَّنَّ أعينكم إليها<sup>(٦)</sup>. وإلى هذا صار ابنُ عُيَيْنَةَ، وأورد قوله عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن» أي: من لم يَسْتَعْنِ به<sup>(٧)</sup>. وقد تقدّم هذا المعنى في أول الكتاب<sup>(٨)</sup>. ومعنى: ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ أي: أمثالا في النعم، أي: الأغنياء بعضهم أمثالا بعض في الغنى، فهم أزواج<sup>(٩)</sup>.

الثانية: هذه الآية تقتضي الزجر عن التسوُّف إلى متاع الدنيا على الدوام، وإقبال العبد على عبادة مولاه. ومثله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهَا﴾ الآية [طه: ١٣١]. وليس كذلك؛ فإنه روي عن النبي ﷺ أنه قال:

(١) سلف ٢١/١.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١١٢٤ - ١١٢٥.

(٣) من أعمال دمشق، وهي قصبه كورة حوران. معجم البلدان ١/٤٤١.

(٤) بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمّان. معجم البلدان ١/١٣٠، وتسمى الآن: درعا، وتبعد ١١٠ كم جنوبي دمشق.

(٥) في (د) و(ظ) و(م): البر، والمثبت من (ز) ومصدر التخريج.

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٢٨٢ ونسبه للحسين بن الفضل، وهو عند الزمخشري في الكشاف ٢/٣٩٨ دون نسبة.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٤/٤١، وتفسير الطبري ١٤/١٢٧.

(٨) ٢١/١ - ٢٢.

(٩) ينظر معاني القرآن للنحاس ٤/٤١، والنكت والعيون ٣/١٧١.

«حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءَ، وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>. وكان عليه الصلاة والسلام يتشاغل بالنساء جِبَلَةَ الْأَدَمِيَّةِ، وتشوُّف الخِلْقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، ويحافظُ على الطَّيِّبِ، ولا تقرُّ له عينٌ إلا في الصلاة لدى مناجاة المولى، ويرى أنَّ مناجاته أحرى من ذلك وأولى<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن في دين محمد الرهبانيَّة والإقبال على الأعمال الصالحة بالكلية كما كان في دين عيسى، وإنما شرَّع الله سبحانه حنيفيَّةً سمحةً خالصةً عن الحرج، خفيفةً على الآدمي، يأخذ من الآدمية بشهواتها، ويرجع إلى الله بقلب سليم.

ورأى القراء والمخلصون من الفضلاء الانكفاف عن اللذات والخلوص لربِّ الأرض والسموات اليوم أولى؛ لِمَا غَلَبَ على الدنيا من الحرام، واضطَّرَّ العبدُ في المعاش إلى مخالطة مَنْ لا تجوز مخالطته، ومصانعة مَنْ تحرُّم مصانعته، فكانت القراءة أفضل، والفرار عن الدنيا أصوب للعبد وأعدل؛ قال ﷺ: «يأتي على الناس زمانٌ يكون خيراً مالٍ المسلمِ غنماً يتبع بها شَعَفَ الجبالِ ومواقعَ القَطْرِ؛ يَفِرُّ بدينه من الفتن»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ولا تحزن على المشركين إن لم يؤمنوا. وقيل: المعنى: لا تحزن على ما متَّعوا به في الدنيا؛ فَلَكَ في الآخرة أفضلُ منه. وقيل: لا تحزن عليهم إن صاروا إلى العذاب؛ فهم أهلُ العذاب<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ألنْ جانِبِكَ لمن آمنَ بك وتواضع لهم. وأصله أنَّ الطائر إذا ضمَّ فَرَّخَهُ إلى نفسه بسَطَّ جناحه ثم قبضه على الفَرَّخِ، فجعل ذلك وصفاً لتقريب الإنسان أتباعه. ويقال: فلانٌ خافضُ الجناح، أي: وقورٌ ساكنٌ. والجناحان

(١) أخرجه أحمد (١٢٢٩٣)، والنسائي في المجتبى ٦١/٧ - ٦٢، من حديث أنس ﷺ.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١١٢٥/٣، والكلام الآتي منه.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١١٢٥/٢، والحديث أخرجه البخاري (٣٦٠٠) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) ينظر تفسير السمرقندي ٢٢٥/٢، والنكت والعيون ١٧١/٣.

مِن ابْنِ آدَمَ: جانباه؛ ومنه ﴿وَأَضْمُكُمْ يَدَكُ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢] وجناح الطائر: يده<sup>(١)</sup>.  
وقال الشاعر:

وَحَسْبُكَ فِتْيَةٌ لَزَعِيمٍ قَوْمٍ      يَمُدُّ عَلَى أَخِي سَقَمَ جَنَاحَا<sup>(٢)</sup>  
أي: تواضعاً ولبناً.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٨﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

في الكلام حذف؛ أي: إني أنا النذيرُ المبينُ عذاباً، فحذف المفعول، إذ كان الإندازُ بدلُ عليه، كما قال في موضع آخر: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]. وقيل: الكاف زائدة، أي: أنذرتكم ما أنزلنا على المقتسمين؛ كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وقيل: أنذرتكم مثل ما أنزلنا بالمقتسمين<sup>(٣)</sup>. وقيل: المعنى كما أنزلنا على المقتسمين، أي: من العذابِ وكفيناك المستهزئين، فاضدغ بما تؤمر، وأعرض عن المشركين الذين بغوا، فإننا كفيناك أولئك الرؤساء الذين كُنتَ تلقى منهم ما تلقى.

واختلف في «المُقتسمين» على أقوالٍ سبعة:

الأول: قال مقاتلٌ والفراء: هم سِتَّةٌ عَشَرَ رجلاً بعثهم الوليدُ بنُ المغيرة أيامَ الموسم، فاقسموا أعقابَ مكة وأنقابها وفجاجها يقولون لمن سَلَكَها: لا تغتروا بهذا الخارجِ فينا يدعي النبوة؛ فإنه مجنونٌ، وربما قالوا: ساحرٌ، وربما قالوا: شاعرٌ، وربما قالوا: كاهنٌ. وسُموا المقتسمين؛ لأنهم اقتصموا هذه الطرق، فأماتهم الله شرَّ ميته، وكانوا نصبوا الوليدَ بنَ المغيرة حَكَمًا على بابِ المسجد، فإذا سألوه عن

(١) الصحاح ولسان العرب (خفض) و(جناح).

(٢) كذا في النكت والعيون ٣/ ١٧١، وجاء في ديوان إبراهيم بن هرمة ص ٨٨ قوله:

وحسبُكَ تَهْمَةٌ بِبِرِّي قَوْمٍ      يضمُّ على أخِي سَقَمَ جَنَاحَا

(٣) ينظر الوسيط ٣/ ٥٢، وتفسير الرازي ١٩/ ٢١٢.

النبي ﷺ قال: صَدَقَ أولئك<sup>(١)</sup>.

الثاني: قال قتادة: هم قومٌ من كفّار قريش؛ اقتسموا كتابَ الله، فجعلوا بعضه شعراً، وبعضه سحراً، وبعضه كهانةً، وبعضه أساطيرَ الأولين<sup>(٢)</sup>.

الثالث: قال ابنُ عباسٍ: هم أهلُ الكتابِ؛ آمنوا ببعضه وكفّروا ببعضه<sup>(٣)</sup>.

وكذلك قال عكرمة: هم أهلُ الكتابِ، وسُمُّوا مقتسمين؛ لأنَّهم كانوا مستهزئين، فيقول بعضهم: هذه السورةُ لي، وهذه السورةُ لك. وهو القول الرابع.

الخامس: قال قتادة: قسموا كتابهم ففرّقوه وبدّدوه وحرّفوه<sup>(٤)</sup>.

السادس: قال زيدُ بنُ أسلمَ: المرادُ: قومُ صالحٍ، تقاسموا على قتله فسُمُّوا مقتسمين؛ كما قال تعالى: ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾<sup>(٥)</sup> [النمل: ٤٩].

السابع: قال الأخفشُ: هم قومٌ اقتسموا أيماًناً تحالفوا عليها. وقيل: إنَّهم العاصُ بنُ وائلٍ، وعتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعةَ، وأبو جهلُ بنُ هشامٍ، وأبو البَخْتَرِيِّ بنُ هشامٍ، والنَّضْرُ بنُ الحارثِ، وأمّيةُ بنُ خَلَفٍ، ومنبّهُ بنُ الحجاجِ؛ ذكره الماوردي<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾<sup>(٧)</sup>

هذه صفةُ المقتسمين. وقيل: هو مبتدأ، وخبره: ﴿لَسْتَأْتَهُنَّ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٩١/٢ - ٩٢ ، والنكت والعيون ١٧٢/٣ ، وتفسير البيهقي ٥٨/٣ ، وتفسير الرازي ٢١١/١٩ - ٢١٢ .

(٢) النكت والعيون ١٧٢/٣ ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره ١٣٥/١٤ ، وذكره الرازي في تفسيره ٢١٢/١٩ ونسبه لمقاتل بن حيان.

(٣) النكت والعيون ١٧٢/٣ . وسيأتي تخريج قوله تقريباً.

(٤) النكت والعيون ١٧٢/٣ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ١٣١/١٤ .

(٥) النكت والعيون ١٧٢/٣ ونسبه إلى ابن زيد، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره ١٣٢/١٤ - ١٣٣ ، وكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤١٨/١٤ .

(٦) في النكت والعيون ١٧٣/٣ .

(٧) تفسير الرازي ٢١٣/١٩ .

وواحد العِضِينَ: عِضَّة، من عَضَّيْتُ الشيءَ تعَضِيَةً، أي: فَرَّقْتُهُ؛ وكلُّ فَرَقَةٍ عِضَّةٌ<sup>(١)</sup>. وقال بعضهم: كانت في الأصل عِضْوَةٌ، فنقصت الواو، ولذلك جُمِعت عِضِينَ؛ كما قالوا: عِزِينَ في جمع عِزَّة، والأصل: عِزْوَةٌ. وكذلك ثُبَّةٌ وثَبِينٌ<sup>(٢)</sup>. ويرجع المعنى إلى ما ذكرناه في المقتسمين. قال ابن عباس: آمنوا ببعض وكفروا ببعض<sup>(٣)</sup>. وقيل: فَرَّقُوا أَقْوَابَهُمْ فِيهِ، ففعلوه كذباً، وسحراً، وكهانةً، وشِعْراً. عَضْوَتُهُ، أي: فَرَّقْتُهُ<sup>(٤)</sup>. قال الشاعر - هو رؤبة -:

وليس دينُ اللهِ بالمُعَضِّي<sup>(٥)</sup>

أي: بالمفروق.

ويقال: نقصانه الهاء، وأصله: عِضَّة؛ لأنَّ العِضَّةَ والعِضِينَ في لغة قريش: السَّحْرُ. وهم يقولون للساحر: عاضِه، وللساحرة: عاضِهة<sup>(٦)</sup>. قال الشاعر:

أعوذُ برَبِّي مِنَ النِّافِثَا تِ فِي عَقْدِ العَاضِهِ المُعَضِّهِ<sup>(٧)</sup>

وفي الحديث: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ العَاضِهةَ والمُسْتَعَضِّهةَ»<sup>(٨)</sup>، وُقِّسَ: السَّاحِرَةُ والمستسحرة<sup>(٩)</sup>. والمعنى: أَكثَرُوا البُهْتَ عَلَى القُرْآنِ، ونَوَّعُوا الكَذِبَ فِيهِ، فقالوا:

(١) الوسيط ٥٢/٣، والنكت والعيون ١٧٣/٣.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/٣٧٤، وتهذيب اللغة ١/١٣٠ - ١٣١، ولسان العرب (عضه).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠٥)، والطبري في تفسيره ١٤/١٣٥، والحاكم ٢/٣٥٥.

(٤) الصحاح (عضه).

(٥) ديوانه ص ٨١، وبعده: إِنَّ لَنَا هَوَاسَةً عِزْبِيَا

(٦) الصحاح (عضه).

(٧) هو في غريب الحديث للهروي ٣/١٨١، وتهذيب اللغة ١/١٣٠، والصحاح واللسان (عضه) دون نسبة.

(٨) أخرجه ابن عدي في التراجم الساقطة من الكامل ص ١٠٧ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ٩٤: في إسناده: زمعة بن صالح عن سلمة بن هرام، وهما ضعيفان.

(٩) النهاية في غريب الحديث ٣/٢٥٥.

سحرًا، وأساطيرُ الأولين، وأنه مفترى، إلى غير ذلك.

ونظيرُ عِصَّةِ فِي النقصان: شَفَّة، والأصل: شَفْهَة، كما قالوا: سَنَّة، والأصل: سَنْهَة، فنقصوا الهاءَ الأصليَّةَ، وأثبتت هاءَ العلامَة وهي للتأنيث.

وقيل: هو من العَضه، وهي: النَمِيمَة. والعَضِيهَة: البُهْتانُ: وهو أن يعضه الإنسان ويقول فيه ما ليس فيه. يقال: عَضَه عَضْهاً: رماه بالبُهْتان. وقد أَعْضَهَتْ: أي: جِئَتْ بالبُهْتان. قال الكسائِيُّ: العِصَّةُ: الكَذِبُ والبُهْتانُ، وجمعها عِضُونُ؛ مثل عِزَّةٍ وَعِزُونٍ؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾<sup>(١)</sup>. ويقال: عَضَوْه، أي: آمنوا بما أحبوا منه وكفروا بالباقي، فأحبط كفرهم إيمانهم. وكان الفراءُ يذهب إلى أنه مأخوذٌ مِنَ العِضاه، وهي شَجَرُ الوادي، ويخرج كالشوك<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهُنَّ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٣)</sup> عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهُنَّ أَجْمَعِينَ﴾ أي: لَنَسْتَلَنَّ هُوَلاءِ الَّذِينَ جَرَى ذِكْرُهُمْ عَمَّا عَمَلُوا فِي الدُّنْيَا. وفي البخاري<sup>(٣)</sup>: وقال عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهُنَّ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: عن لا إله إلا الله.

قلت: وهذا قد رُوِيَ مرفوعاً، روى الترمذيُّ الحكيمُ<sup>(٤)</sup> قال: حدثنا الجارود بنُ معاذ، قال: حدثنا الفضلُ بنُ موسى، عن شريك، عن ليث، عن بشير بن نَهيك، عن أنسِ بنِ مالك، عن رسولِ الله ﷺ في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهُنَّ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال: «عن قول: لا إله إلا الله»<sup>(٥)</sup>. قال أبو عبد الله: معناه عندنا: عن

(١) الصحاح (عضه).

(٢) ذكر الفراء في معاني القرآن ٩٢/٢ أن العضين في كلام العرب: السحر بعينه. وكذا نقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ١٣/١، والماوردي في النكت والعيون ١٧٤/٣، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣٧٤/٣.

(٣) في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب ١٨، قبل حديث (٢٦).

(٤) في نواذر الأصول ص ٢٤٦ - ٢٤٧، وهو أبو عبد الله الآتي ذكره.

(٥) أخرجه الترمذي (٣١٢٦)، والطبري في تفسيره ١٣٩/١٤ - ١٤٠، وهو عند البخاري في التاريخ الكبير ٨٦/٢ و ١٣٣/٨. قال الترمذي: هذا حديث غريب.

صِدْقٍ: لا إله إلا الله، ووفائها؛ وذلك أَنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَ في تنزيله العملَ فقال: ﴿عَمَّا كَانُوا يَمْلُونُ﴾ ولم يقل: عمَّا كانوا يقولون، وإن كان قد يجوز أن يكون القولُ أيضاً عملَ اللسانِ، فإنَّما المعنيُّ به ما يعرفه أهلُ اللغة أَنَّ القولَ قولٌ، والعملُ عملٌ. وإنما قال رسولُ الله ﷺ: «عن: لا إله إلا الله» أي: عن الوفاءِ بها والصِّدْقِ لمقاليها. كما قال الحسنُ البصريُّ: ليس الإيمانُ بالتحلِّي ولا الدِّينُ بالتمنِّي، ولكن ما وقر في القلوبِ وصدَّقته الأعمالُ.

ولهذا<sup>(١)</sup> قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قال: لا إله إلا الله مخلصاً؛ دخلَ الجنةَ» قيل: يا رسولَ الله، وما إخلاصُها؟ قال: «أَنْ تَحْجُزَهُ عن محارمِ الله». رواه زيدُ بنُ أرقم<sup>(٢)</sup>.

وعنه أيضاً قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَهْدَ إِلَيَّ أَلَّا يَأْتِيَنِي أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي بِلا إله إلا الله، لا يَخْلُطُ بها شيئاً؛ إلا وَجَبَتْ له الجنةُ» قالوا: يا رسولَ الله، وما الذي يخلطُ بلا إله إلا الله؟ قال: «حرصاً على الدنيا، وجمْعاً لها، ومَنْعاً لها، يقولون قولَ الأنبياء، ويعملون أعمالَ الجبابرة»<sup>(٣)</sup>.

وروى أنسُ بنُ مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا إله إلا الله تمنعَ العبادَ مِنْ سَخَطِ الله، ما لم يؤثروا صفقةَ دنياهم على دينهم، فإذا آثروا صفقةَ دنياهم على دينهم، ثم قالوا: لا إله إلا الله، رُدَّتْ عليهم، وقال اللهُ: كذبتم». أسانيدُها في «نوادِر الأصول»<sup>(٤)</sup>.

قلت: والآيةُ بعمومِها تدلُّ على سؤالِ الجميعِ ومحاسبتهم كافرهم ومؤمنهم، إلا

(١) بعدها في (ز) و(د) و(م): ما، والمثبت من (ظ).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٠٧٤) وفي الأوسط (١٢٥٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨/١ وقال: في إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، وهو وضَّاع.

(٣) هو في نوادر الأصول ص ٢٤٦، ولم نقف عليه عند غيره.

(٤) ص ٢٤٦ - ٢٤٧، والحديث أخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في الزهد ص ١٤٤، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٩٧). قال الرازي في العلل ١٢١/٢ - ١٢٢: هذا خطأ إنما هو سهيل عن مالك بن أنس عن النبي ﷺ مرسل.

مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ فِي كِتَابِ «التَّذْكَرَةِ»<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: وهل يُسأل الكافر ويُحاسب؟ قلنا: فيه خلاف، وذكرناه في «التذكرة»<sup>(١)</sup>. والذي يظهر سؤاله؛ للآية وقوله: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّمَا مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤] وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]. فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، وقال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؟ قلنا: القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك فيه. قال عكرمة: القيامة مواطن، يُسأل في بعضها، ولا يُسأل في بعضها. وقال ابن عباس: لا يسألهم سؤال استخبار واستعلام؛ هل عملتم كذا وكذا؛ لأن الله عالم بكل شيء، ولكن يسألهم سؤال تفرغ وتوبيخ، فيقول لهم: لِمَ عصيتم القرآن، وما حججكم فيه؟ واعتمد قُطْرُبُ هذا القول<sup>(٢)</sup>. وقيل: ﴿لَتُسْئَلُنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: المؤمنين المكلفين؛ بيانه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّسِيرِ﴾ [التكاثر: ٨]. والقول بالعموم أولى كما ذكر. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمَسْتَهْزِئِينَ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي: بالذي تؤمر به، أي: بلغ رسالة الله جميع الخلق؛ لتقوم الحجة عليهم، فقد أمرك الله بذلك.

والصَّدْعُ: الشَّقُّ. وتصدع القوم، أي: تفرقوا، ومنه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] أي: يتفرقون. وصدعته فأنصدع: أي: انشق. وأصل الصَّدْعُ: الفرق والشَّقُّ<sup>(٣)</sup>. قال أبو ذؤيب<sup>(٤)</sup> يصف الحمار وأنته:

(١) ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٤١/٤ - ١٤٢، والبغوي ٥٨/٣ - ٥٩، وزاد المسير ٤١٩/٤ - ٤٢٠.

(٣) ينظر الصحاح، وتهذيب اللغة ٤/٢ - ٦، ولسان العرب (صدع).

(٤) هو: خويلد بن خالد، الهذلي، جاهلي إسلامي. والبيت في ديوان الهذليين ص ٦، قال شارحه: الرِّبَابَةُ: خرقة تُغَطَّى بها القداح، ويقال: الرِّبَابَةُ هنا هي القداح، واليَسْرُ: الذي يضرب بها. ويصدع: يفرق ويصيح.

وَكَأَنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسْرُ يُفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَضَعُ  
 أَي: يفرق ويشق. فقوله: ﴿أَصْدَعِ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ قال الفراء<sup>(١)</sup>: أراد: فاصدع  
 بالأمر، أي: أظهر دينك، ف «ما» مع الفعل على هذا بمنزلة المصدر. وقال ابن  
 الأعرابي<sup>(٢)</sup>: معنى ﴿اصدع بما تؤمر﴾، أي: اقصِد. وقيل: ﴿فَأَصْدَعِ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي:  
 فرّق جَمْعَهُمْ وكلمتهم، بأن تدعوهم إلى التوحيد، فإنهم يتفرّقون؛ بأن يجيب البعض.  
 فيرجع الصّدْعُ على هذا إلى صدع جماعة الكفار.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عن الاهتمام باستهزائهم، وعن  
 المبالاة بقولهم، فقد برأك الله عمّا يقولون. وقال ابن عباس: هو منسوخ بقوله:  
 ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٣)</sup> [التوبة: ٥]. وقال عبد الله بن عبيد: ما زال النبي ﷺ مستخفياً  
 حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعِ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فخرج هو وأصحابه<sup>(٤)</sup>. وقال مجاهد: أراد  
 الجَهْرَ بالقرآن في الصلاة<sup>(٥)</sup>.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: لا تُبالِ بهم. وقال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup>: لما تبادوا في الشرِّ  
 وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء أنزل الله تعالى: ﴿فَأَصْدَعِ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ  
 إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾. والمعنى: اصدع  
 بما تؤمر ولا تحف غير الله؛ فإن الله كافيك من آذاك كما كافاك المستهزئين.

وكانوا خمسة من رؤساء أهل مكة، وهم الوليد بن المغيرة وهو رأسهم، والعاص  
 ابن وائل، والأسود بن المطلب بن أسيد أبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث،

(١) في معاني القرآن ٩٣/٢ .

(٢) تهذيب اللغة ٦/٢ .

(٣) ينظر النكت والعيون ٣/١٧٥ ، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره ١٤٥/١٤ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٤٣/١٤ .

(٥) تفسير مجاهد ١/٣٤٤ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ١٤٣/١٤ .

(٦) سيرة ابن هشام ١/٤٠٩ ، وينظر تفسير الطبري ١٤٥/١٤ - ١٤٦ .

والحارثُ بنُ الطَّلَاطِلَةَ. أهلكهم اللهُ جميعاً قبلَ يومِ بدرٍ في يومٍ واحدٍ؛ لاستهزائهم برسولِ اللهِ ﷺ<sup>(١)</sup>.

وسببُ هلاكِهم فيما ذكرَ ابنُ إسحاقٍ<sup>(٢)</sup>: أنَّ جبريلَ أتى رسولَ اللهِ ﷺ وهم يطوفون بالبيت، فقامَ وقامَ رسولُ اللهِ ﷺ، فمرَّ به الأسودُ بنُ المطَّلَبِ، فرمى في وجهه بورقةَ خضراءَ فعمي، ووَجِعَت عينُه، فجعلَ يَضْرِبُ برأسه الجدارَ. ومرَّ به الأسودُ بنُ عبدِ يَغوْثَ، فأشارَ إلى بطنه، فاستسقى بطنه، فمات منه حَبْنًا؛ يقال: حَبِنَ بالكسر - حَبْنًا، وَحِنَ للمفعول: عَظَمَ بطنه بالماءِ الأصفرِ، فهو أَحْبَنُ، والمرأةُ حَبْنَاءُ؛ قاله في «الصحاح»<sup>(٣)</sup>. ومرَّ به الوليدُ بنُ المغيرة، فأشارَ إلى أثرِ جُرْحِ بأسفلِ كعبِ رِجله، وكان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يَجُرُّ سَبْلَهُ<sup>(٤)</sup>، وذلك أنه مرَّ برجلٍ من خزاعة يَريش نَبْلًا له، فتعلَّقَ سهمٌ من نَبْلِه بإزاره فحَدَشَ في رِجله ذلك الخدشَ، وليس بشيء، فانتفضَ به، فقتلَه. ومرَّ به العاصُ بنُ وائلٍ، فأشارَ إلى أحمصِ رِجله، فخرجَ على حمارٍ له يريد الطائفَ، فربَضَ به على شِبْرِقَةٍ<sup>(٥)</sup>، فدخلت في أحمصِ رِجله شوكةٌ، فقتلته. ومرَّ به الحارثُ بنُ الطَّلَاطِلَةَ، فأشارَ إلى رأسه فامتخط<sup>(٦)</sup> قيحًا، فقتلَه. وقد ذكرَ في سببِ موتهم اختلافٌ قريبٌ من هذا<sup>(٧)</sup>.

(١) النكت والعيون ٣/١٧٥، وينظر تفسير الطبري ١٤/١٤٦، وورد في (م): قيل: يوم بدر.

(٢) في السير والمغازي ص ٢٧٣ - ٢٧٤، وينظر سيرة ابن هشام ١/٤١٠، وتفسير الطبري ١٤/١٤٦ - ١٤٧، وتفسير البغوي ٣/٥٩.

(٣) الصحاح (حبن).

(٤) السَّبَلُ: الإزار. تفسير الطبري ١٤/١٤٧.

(٥) الشَّبْرِقُ: نبت حجازي يؤكل وله شوكة. النهاية في غريب الحديث (شبرق).

(٦) في (ظ): فامتخط.

(٧) ينظر تفسير الطبري ١٤/١٤٧ - ١٥٢، والمحمر الوجيز ٣/٣٧٥ - ٣٧٦، وزاد المسير ٤/٤٢٢ - ٤٢٣، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٤٧، ونسبه للطبراني في الأوسط وقال: فيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري، ولم أعرفه.

وقيل: إنهم المراد بقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦].  
شبه ما أصابهم في موتهم بالسقف الواقع عليهم؛ على ما يأتي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٦﴾

هذه صفة المستهزئين. وقيل: هو ابتداء، وخبره: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿٩٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صَدْرَكَ﴾ أي: قلبك؛ لأن الصدر محل القلب<sup>(٣)</sup>. ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: بما تسمعه من تكذيبك ورد قولك، وتناؤه وبنائه أصحابك من أعدائك.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّجِدِينَ﴾ ﴿٩٨﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: فافزع إلى الصلاة، فهي غاية التسييح، ونهاية التقديس<sup>(٤)</sup>؛ وذلك تفسير لقوله: ﴿وَكُن مِّنَ السَّجِدِينَ﴾، ولا خفاء أن غاية القرب في الصلاة حال السجود، كما قال عليه الصلاة والسلام: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأخلصوا الدعاء»<sup>(٥)</sup>. ولذلك خص السجود بالذكر.

الثانية: قال ابن العربي<sup>(٦)</sup>: ظن بعض الناس أن المراد بالأمر هنا السجود نفسه، فرأى هذا الموضع محل سجود في القرآن، وقد شاهدت الإمام بمحراب زكريا من

(١) في سورة النحل، عند الآية ٢٦.

(٢) الإملاء (بهاشم الفتوحات الإلهية) ٤٣٧/٣، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣٩٠/٢.

(٣) النكت والعيون ١٧٥/٣.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١١٢٦/٣.

(٥) أخرجه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: فأكثروا الدعاء، بدل: فأخلصوا الدعاء.

(٦) أحكام القرآن ١١٢٦/٣.

البيت المقدس طهره الله، يسجد في هذا الموضع وسجدت معه فيها، ولم يره جماهير العلماء.

قلت: قد ذكر أبو بكر النقاش أن هاهنا سجدة عند أبي حذيفة ويمان بن رثاب، ورأى أنها واجبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿٩٨﴾

فيه مسألة واحدة، وهو أن اليقين الموت. أمره بعبادته إذ قصر عباده في خدمته، وأن ذلك يجب عليه<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: فما فائدة قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ وكان قوله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ﴾ كافياً في الأمر بالعبادة؟ قيل له: الفائدة في هذا أنه لو قال: «واعبد ربك» مطلقاً، ثم عبده مرة واحدة، كان مطيعاً؛ وإذا قال: «حتى يأتيك اليقين» كان معناه: لا تفارق هذا حتى تموت.

فإن قيل: كيف قال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ولم يقل: أبداً؟ فالجواب أن «اليقين» أبلغ من قوله: أبداً؛ لاحتمال لفظ الأبد للحظة الواحدة، ولجميع الأبد. وقد تقدّم هذا المعنى<sup>(٢)</sup>.

والمراد: استمرار العبادة مدة حياته، كما قال العبد الصالح: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]. ويترتب على هذا أن الرجل إذا قال لامرأته: أنت طالق أبداً، وقال: نويت يوماً أو شهراً، كانت عليه الرجعة. ولو قال: طلقته حياتها، لم يراجعها<sup>(٣)</sup>.

والدليل على أن اليقين الموت حديث أم العلاء الأنصارية، وكانت من

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١١٢٧ .

(٢) ٢٥٨/٢ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١١٢٧ .

المبايعات، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «أما عثمانُ - أعني عثمانُ بنَ مَظْعُونٍ - فقد جاءه اليقينُ، وإنِّي لأرجو له الخيرَ، واللّه ما أدري وأنا رسولُ اللّه ما يُفَعَلُ به» وذكر الحديث. انفرد بإخراجه البخاري<sup>(١)</sup> رحمه الله!

وكان عمرُ بنُ عبدِ العزيز يقول: ما رأيتُ يقيناً أشبهَ بالشكِّ من يقينِ الناسِ بالموت، ثم لا يَسْتَعْدُونَ له؛ يعني كأنهم فيه شاكُون<sup>(٢)</sup>.

وقد قيل: إنَّ اليقينَ هنا الحقُّ الذي لا ريبَ فيه من نصرِك على أعدائِك؛ قاله ابن شجرة؛ والأوَّلُ أصحُّ، وهو قول مجاهدٍ وقتادةٍ والحسن<sup>(٣)</sup>. واللّه أعلم.

وقد روى جُبَيْرُ بنُ نَفيِرٍ، عن أبي مسلم الخولانيّ أنّه سمعه يقول: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ما أوحِيَ إليّ أن أجمع المالَ وأكونَ من التاجرين، ولكن أوحِيَ إليّ أن سبِّحَ بحمدي ربِّك وكُنْ من الساجدين، واعبُد ربِّك حتى يأتِيَكَ اليقينُ»<sup>(٤)</sup>.

### تمّ تفسير سورة الحجر، والحمد لله.

(١) في «صحيحه» (٢٦٨٧)، وهو عند أحمد (٢٧٤٥٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «اليقين» (٤٣) بنحوه.

(٣) النكت والعيون ١٧٦/٣، وأخرجه عنهم الطبري في تفسيره ١٥٥/١٤ - ١٥٦.

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٣١/٢، وهو ضعيف لإرساله، وأخرجه الواحدي في الوسيط ٥٤/٣ عن جبير بن نفيِر مرسلأ أيضاً، وينظر الكامل لابن عدي ٩٣٩/٣.